# روايات حديث جبريل
## تحليل وفقه تأويل
بقلم الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين أما بعد:

فإن حديث جبريل الذي أخرجه الإمام مسلم وغيره من أصحاب الصحاح والسنن، من أهم أحاديث رسول الله ﷺ.

ويطلق على هذه الحديث الجامع عدة أسماء فيسميه بعضهم «حديث جبريل»، لأنه يسجل نص الحوار بين جبريل عليه السلام وبين رسول الله ﷺ، حول مسائل الإيمان والإسلام والإحسان والساعة وأشراطها.

ويسميه بعضهم «حديث عمر في الإيمان»؛ لأن أهم رواية من روايات الحديث، رواها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهذا الحديث جامع شامل، غزير المعاني والدلالات، عرف المحدثون له قيمته وفضله، فاهتموا به اهتماماً خاصاً.

وقد نقل الإمام النووي في شرحه للحديث عن الإمام القاضي عياض قوله: «هذا الحديث قد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة: من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإصلاح السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه، متشعبة منه.

وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ألفنا كتابنا الذي سميناه: ((المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان))، إذ لا يشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة..)) . وكتاب القاضي عياض الذي أشار إليه غير مطبوع، ولا ندري إن كانت نسخه المخطوطة موجودة أم لا.

وكم كان الإمام أبو العباس القرطبي موفقاً مصيباً عندما اعتبر هذا الحديث ((أم السنّة)) كما أن سورة الفاتحة هي ((أم القرآن)).

قال في كتاب ((المفهم)) عن الحديث: ((يصلح هذا الحديث أن يقال فيه: إنه ((أم السنّة))، لما تضمنه من جمل علوم السنّة، كما سميت الفاتحة ((أم الكتاب)) لما تضمنته من جمل معاني القرآن)).

وقد أورد الإمام مسلم في صحيحه ثلاث روايات لهذا الحديث:

الرواية الأولى: من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد شارك الإمام مسلم في إخراجها كل من: أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد، وهي أهم روايات الحديث.

الرواية الثانية: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقد أخرجها الإمام البخاري في صحيحه أيضاً.

الرواية الثالثة: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً. وقد شارك الإمام مسلم في إخراجها كل من: البخاري وأبي داود والنسائي.

ونظراً لأهمية هذا الحديث، أحببنا أن نقف أمامه طويلاً، متدبرين محللين مؤولين، لنحسن تحليل الحديث، ونفقه تأويله، ونستخرج بعض دلالاته وحقائقه، ثم تسجيل ما يفتح الله به علينا من ذلك خدمة لسنة رسول الله ﷺ

وكانت الوقفة الأطول أمام الرواية الأولى للحديث، لأنها هـي أسـاس الروايـات الثلاثة، لأنها تتوسع في ذكـر بعـض التفـاصيل في الحـوار بـين رسـول الله ﷺ وبـين جبريل عليه السلام؛ ولأن الإمام مسـلم ذكـر قصـة روايـة التـابعي يحيـى بـن يعمـر للحديث عن عبدالله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما، وهـذه القصـة لهـا دلالات هامة في العقيدة والتربية والنصيحة.

**وقد قسمنا حديثنا عن كل رواية إلى قسمين:**

**القسم الأول**: تحليل الحديث: وحللناه من جانبين:

**الجانب الأول**: بيان معاني كلمات الحديث وعباراته.

**والجانب الثاني**: تسجيل معنى الحديث، بصورة متناسقة مرتبة متسلسلة.

**القسم الثاني**: فقه تأويل الحديث.

وهو الهدف المقصود من هذه الدراسة، حيث قدمنا فيه ما فتح الله بـه علينـا مـن دلالات وإيحاءات، يمكن أن تستخرج من روايات الحديث.

ونقدم هـذه الدراسـة للأخـوة الكـرام، لعلهـم يجـدون فيهـا بعـض النفـع والعلـم والفائدة، ونجعلها نموذجاً أمـامهم، يمكـن أن يحتـذى ويقتـدى بـه في فهـم، أحـاديث رسول الله ﷺ وفقه تأويلها واستخراج دلالاتها.

إننا بحاجة ماسـة إلى «فقـه تـأويل» أحـاديث رسـول الله ﷺ وحسـن اسـتخراج دلالاتها وحقائقها، لأنها المصدر الثاني في إسلامنا العظيم، بعد كتاب الله الكريم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أورد الإمام مسلم في صحيحه ثلاث روايات لحديث جبريل:

**الأول**: من رواية عبدالله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

**الثاني**: من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

**الثالث**: من رواية أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه.

**الحديث الأول**: عن يحيى بن يَعمُر قال: كان أولَ من قالَ بالقدر في البصرة مَعْبدُ الجُهَنيّ. فانطلقتُ أنا وحميد بن عبد الرحمن الحِميريّ، حاجّين أو مُعتمرين.

فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناهُ عمّا يقول هؤلاءِ في القدر.

فوُفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب، داخلاً المسجد، فاكتنفتُه أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله.

فظننتُ أنّ صاحبي سَيَكلُ الكلام إليّ. فقلت: أبا عبدالرحمن: إنه قد ظهر قبلنا ناس، يقرءون القرآن، ويتقفّرون العلم -وذكر من شأنهم- وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنف.

قال: فإذا لقيت أولئك، فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم بُرءاء مني. والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أُحُد ذهباً، فأنفقه، ما قبل الله منه، حتى يؤمن بالقدر.

ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: «بينما نحن عند رسول الله، ﷺ، ذاتَ يوم، إذ طلعَ علينا رجُل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السَّفر، ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي، ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه.

وقال: يا محمد: أخْبِرني عن الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: (الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً).

قال: صدقت.

قال عمر: فعجبنا له، يسأله ويصدقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان.

قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه).

قال: صدقت... فأخبرني عن الإحسان.

قال: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك).

قال: فأخبرني عن الساعة.

قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل).

قال: فأخبرني عن أماراتها.

قال: (أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البُنيان).

قال عمر: ثم انطلق.. فلبثت ملياً.

ثم قال لي: (يا عمر: أتدري من السائل؟)

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «فإنه جبريل، أتاكم يُعلمكم دينكم... )».

ورواه أبو داود: (٤٦٩٥)، والترمذي: (٢٦١٣)، والنسائي: (٤٩٩٠)، وابن ماجة: (٦٣)، وأحمد: (٥١).

**تحليل الحديث:**

أولاً: معاني الكلمات والعبارات:

١- قال بالقَدر: القدر مصدر. بمعنى الإحاطة. تقول: قدرْتُ الشيء، أقدُرُه قدْرا إذا أحطتُ بمقداره.

ومعنى قولنا: الله قدّر الأشياء: أنه تعالى علم مقاديرها، وأحوالها، وأزمانها، قبل إيجادها، ثم أوجد سبحانه منها، ما سبق في علمه أنه يوجده، على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث شيء في السماء والأرض إلا وهو صادر عن علم الله وقدرته وإرادته[1].

٢- البَصْرَة: الأرض الطيبة الحمراء. وهي المدينة التي بنيت زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أمر أمير المؤمنين قائد القادسية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ببناء مدينتين في العراق على أطراف البادية، فتم بناء البصرة والكوفة.

وسميت بصرة لأن تربتها وحجارتها رخوة حمراء.

٣- مَعْبَدُ الجهني: هو معبد بن عبدالله بن محمد الجهني، وقيل: معبد بن خالد الجهني. منسوب إلى جهينة، وهي قبيلة عربية من قضاعة، نزلت البصرة.

---

(١) المفهم: (١/١٣٢).

وكان معبد الجهني يجالس الحسن البصري في البصرة، وهو أول من قال بالقدر ونفاه.

وروى عن عمر بن الخطاب مرسلاً، لأنه لم يدركه، وروى عنه قتادة، ومالك بن دينار.

قال أبو حاتِمْ عنه: كان صدوقاً في الحديث، رأساً في القدر.

وقد قتله الحجاج بن يوسف الثقفي.

٤- وُفِّقَ لنا عبدالله بن عمر: وفق من الموافقة والتوفيق، أي: وفقنا الله في هدفنا، وقدر أن نلتقي مع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

٥- فاكتنفتُه أنا وصاحبي: صرنا في ناحيتيه، أحدنا عن ناحيته اليمنى، والآخر عن ناحيته اليسرى. والكنف الناحية، وكنفا الطائر هما جناحاه.

٦- فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ: هذا اعتذار من يحيى بن يعمر عن توهم اعتراضٍ عليه: فقد يقول قائل: لماذا تكلم ابن يعمر ولم يتكلم الحميري؟ والمعنى: ظننت أن صاحبي الحميري سيسكت، ويفوضني أنا بالكلام والسؤال، ولذلك تكلمت وسألت.

٧- ظهر قبلنا ناس: ظهر في بلدنا وناحيتنا أناس، من صفاتهم كذا، وقد فشا وانتشر مذهبهم بين الناس.

٨- ويتقفرون العلم: يتتبعون العلم ويجمعونه. يقال: اقتفى أثره، واقتفر أثره: إذا تتبعه.

والمعنى: أنهم يطلبون المسائل العلمية الغامضة والخفية والدقيقة، ويتتبعونها ويجمعونها..

٩- وذكر من شأنهم: هذا خبر من بعض الرواة عن يحيى بن يعمر، أي أن يحيى بن يعمر ذكر لابن عمر من شأن هؤلاء الذين سيذكر مذهبهم، ووصفهم بالفضيلة في العلم، والاجتهاد والاعتناء به، والحرص على تحصيله.

١٠- يزعمون أن لا قدر: يزعمون أن الله لا يقدر أعمال العباد، ولا يعلمها قبل وقوعها، وإنما يعلمها بعد ما يعملونها.

١١- وأن الأمر أنف: معنى أنف: مستأنف. أي: أعمال العباد التي يعملونها لم يقدرها الله، ولم يعلمها قبل ذلك، وإنما علمه بها مستأنف، حادث بعد وقوعها.

وأنف كل شيء أوله. والأنف في الوجه لأنه أول أعضاء الوجه ظهوراً. وروض أنف: روضٌ لم ترعه الماشية من قبل.

١٢- والذي يحلف به عبدالله بن عمر: هذه كناية من عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن الحلف الصريح باسم الله. ولم يحلف هنا بالله حلفاً صريحاً إجلالاً وتعظيماً لاسم الله.

١٣- مثل أُحُدٍ ذهباً فأنفقه: لو ملك هذا الإنسان ذهباً بمقدار جبل أحد، وهذا مستحيل، فهو مبالغة في كثرة ما ينفق.

ولو أنفق هذا الذهب كله في سبيل الله، ما تقبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر.

قال نفطويه: إنما سمّي الذهب ذهباً، لأنه يذهب، ولا يبقى في ملك صاحبه!![1].

١٤- أسند ركبتيه إلى ركبتيه: وضع القادم ركبتيه مقابل ركبتي رسول الله ﷺ، مبالغةً في القرب منه.

---

(١) شرح النووي على مسلم: (١/١٥٦-١٥٧).

١٥- ووضع كفيه على فخذيه: وضـع القـادم كفيـه علـى فخـذي نفسـه، أمـام رسول الله ﷺ، وجلس أمامه جلسة المتعلم، تأدباً معه.

١٦- أخبرني عن أمارتها: الأمارة هي العلامة. فأماراتُ السـاعة هـي أشـراطها، التي وردت في قولـه تعـالى: ﴿فهـل ينظـرون إلا السـاعة أن تـأتيهم بغتـة فقـد جـاء أشراطها﴾ [محمد:١٨]. وأشراط الساعة وعلاماتها هي الأحداث التي تقع للناس قبيـل يوم القيامة.

١٧- أن تلد الأمة ربتها: الأمة هي الجارية الرقيقة. والمعنى أن تلد المرأة الجاريـة الرقيقة بنتاً من سيدها الحر، فتكون ابنتها هي سيدتها وربتها، لأنها حرة تبعاً لأبيها، وأمها أمةٌ رقيقةٌ في البيت.

١٨-الحفاة العراة العالة رعاء الشاء: هـذه صفـاتٌ لأهـل البـداوة قبـل انتقـالهم لمرحلة العمران والمدنية.

حفاة: جمع حافٍ: وهو الذي لا يلبس في رجله إلا اليسير.

وعراة: جمع عارٍ: وهو الذي لا يلبس من الملابس إلا اليسير.

وعالة: جمع عائل: وهو الفقير، الذي لا يجد من المال إلا اليسير.

رعاء الشاء: رعاء جمع راعٍ، والشاءُ هي الغنم. أي: هم رعاة يرعون الغنم.

١٩- يتطاولون في البنيان: يتباهون في بناء العمارات الشامخة، ويتنافسون فيها.

٢٠- لبثت ملياً: هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أي: مكثت فترة من الوقت، أفكر في هذا الرجل الغريب، من هو؟[١].

---

(١) انظر شـرح الحديث وبيـان معـاني كلماتـه وعباراتـه في: ((المفهـم)) للإمـام القرطـبي: (١/١٣١-١٥٢). و((المنهاج شرح مسلم بن الحجاج)) للنووي: (١/١٥٠-١٦٠).

## ثانياً: معنى الحديث:

يبين راوي الحديث التابعي الجليل يحيى بن يَعْمُر رحمه الله قصة الحديث، والجوَّ الذي سمعه فيه من الصحابي عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

فقد كان يحيى بن يعمر في البصرة، وفيها نشأت أول فتنة حول الإيمان والعقيدة، حيث ظهر فيها أناس يتكلمون في القدر، ويخوضون فيه بالباطل.

وكان أول من تكلم بهذا الكلام الخطير في البصرة مَعْبَد بن خالد الجهني، وكان معبد يطلب العلم، ويجالس الحسن البصري، ويتعلم عنده، لكنه كان يتقفر العلم، ويتعمق في بحث مسائل لا داعي لها، ويذهب إلى خفاياها وغوامضها، ويخوض في غير ما هو مؤهل للخوض فيه، وبذلك افتُتن، وخرج عن منهاج الكتاب والسنّة، وقال بآراءٍ وأفكارٍ تتعارض مع الكتاب والسنّة.

وأول ما خاض فيه، فضلَّ وأخطأ، القدر، فكان ينفي قدر الله، وينفي علم الله المسبق بالأحداث والأشياء، ويزعم أنّ الله لم يقدِّر الأشياء، وأنه لا يعلمها إلا بعد ما تقع!!

وكان مَعْبَد الجهني يتكلم بهذه الأفكار الباطلة في البصرة، وينشُرها بين الناس، فسمع كلامه بعض ضعاف الإيمان، غير الملتزمين بمنهج الكتاب والسنّة، فافتتنوا به، ورددوا بدعة مَعْبَد الضالّة، وصاروا ينشرونها بين الآخرين.

وكان علماء البصرة كالحسن البصري -ينكرون على معبد وأتباعه، ويردون عليهم بدعتهم، ويحذرون الناس منهم.

وكان ممن أنكر عليهم ضلالتهم يحيى بن يعمر وحميد بن عبدالرحمن الحميري.

وخرج ابن يعمر والحميري للحج أو العمرة، كما خرجا لطلب العلم، وكان

هدفهما الإلتقاء بأحد أصحاب رسول الله ﷺ، ليطلبا العلم بين يديه، وليعرفا منه الرد على بدعة وضلالة الجهني وأتباعه.

وحقق الله لهما هدفهما، حيث قدر لهما الإلتقاء بعالم من كبار علماء الصحابة، وهو عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما.

شاهدا ابن عمر داخلاً المسجد، فحمدا الله على تقديره، وأقبلا على ابن عمر واكتنفاه، ووقفا عن جانبيه، حيث وقف أحدهما عن يمينه، ووقف الآخر عن شماله، واقتربا منه ليكلماه ويأخذا عنه.

وكان يحيى بن يَعْمُر أكثر فصاحة من صاحبه حميد الحميري، لأنه أديب نحوي، فقيه فصيح. فظن أن صاحبه الحميري سيكل الكلام إليه، ويفوضه في عرض الأمر على ابن عمر، ولذلك تولى هو مخاطبة ابن عمر، واكتفى الحميري بالسماع.

أخبر ابن يَعْمُر ابن عمر بالمشكلة، وأعلمه بأولئك الذين ينفون قدر الله، وعرض ابن يعمر الموضوع بموضوعية وإنصاف، فذكر بعض إيجابيات الجهني وأتباعه، فهم قوم يقرءون القرآن، وهم على عبادة وتدين، وهم يطلبون العلم، يتقفرونه ويتتبعون مسائله ومباحثه، ويغوصون في دقائقه وخفاياه.

لكن هذا التقفُّر والتتبع للمسائل العويصة، في معزلٍ عن الكتاب والسنّة، أوقعهم في الفتنة والشبهة، فنطقوا بكلام باطلٍ ضالٍ، ونشروا البدعة والضلالة، وخالفوا في ذلك الكتاب والسنّة.

لقد زعموا أن الله لم يقدر الأشياء والأحداث قبل وقوعها، وأنه ليس له سابق علم بها، فهو لا يقدرها ولا يعلمها ولا يريدها، وعلمه بها حادث، لا يكون إلاّ بعد ما تقع!

وهذا كلامٌ باطلٌ خطير، ينفي عن الله صفة التقدير المسبق، والعلم المسبق،

ويساوي بين علم الله بالأشياء وعلم المخلوقين، فالمخلوقون يعلمونها بعد وقوعها، فبماذا تفرّد وتميّز علم الله عن علم المخلوقين؟!

ولما اطّلع ابن عمر رضي الله عنهما على رأي الجهني وأتباعه غضب غضباً شديداً، لأنهم ينفون بعض صفات الله، ينفون علم الله وقدره، وهذا يتناقض مع القرآن الذي يتلونه، والإيمان الذي يدعونه، إن هذا الكلام كفر با لله، لأنه نفي لبعض صفاته، وإنكار لقدره، لا ينفع معه كثرة عبادةٍ و لا تلاوة ولا طلب علم!!

وكلف ابن عمر ابن يَعْمُر أن يخبرهم -عندما يعود إليهم- أن عبدالله ابن عمر بريئ منهم، وأنهم برءاء منه، وأنه لا صلة بينه وبينهم، لابتداعهم في العقيدة، وخروجهم عن الحق إلى الباطل.

ثم أقسم ابن عمر غير حانث، أن الواحد من نفاة القدر، لا ينفعه مع نفي القدر علمٌ ولا عبادة، ولا استقامة ولا صدقة.. فلو كان لأحدهم ذهب كثير، مثل جبل أحد، فأنفقه كله في سبيل الله، ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر، ويعتقد أن قدر ا لله وعلمه بالشئ مسبق، وأن الله قدر الشئ وعلمه قبل خلق الكون، وأن هذا الشئ حصل في الواقع كما قدره الله وعلمه.

هذا هو ما عليه الصحابة والتابعون وصالحو المؤمنين، وقد أخذوه من آيات القرآن، وحديث رسول الله ﷺ، وبعدما وضح عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لابن يعمر والحميري الحقيقة، وحل المشكلة، وقرر ابتداع وضلال الجهني وأتباعه، دلل لهما على صحة كلامه، واشتراطه الإيمان بالقدر لتحقيق الإيمان وقبول الأعمال.

فساق لهما حديثاً عن أبيه عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، يبين فيه الرسول ﷺ أن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، لا يقبل الله عبادة مسلم حتى يحققه.

وهذا الحديث معروف باسم ((حديث جبريل)). و ((حديث عمر في الإيمان))، وهو من أمهات الأحاديث الصحيحة، لما فيه من حقائق حول الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وعلاماتها، وما يوحى به من إشارات وإيحاءات علمية وتربوية وإيمانية!!

وقد بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مناسبة الحديث، والجو العام الذي تم فيه.

فقد كان عمر رضي الله عنه مع مجموعة من الصحابة يوماً، وكانوا جالسين مع رسول الله ﷺ، وبينما كانوا جالسين معه إذ طلع عليهم رجل غريب، وفعل أشياء مثيرة.

فقد كانت ثياب الرجل بيضاء شديدة البياض، وكان شعره أسود شديد السواد، وكان أنيق الملابس لا يرى أثر السفر على ثيابه ولا على شعره ولا على بدنه، فكأنه خارج من بيتٍ قريبٍ للمكان الذي يجلسون فيه.

والغريب أنه لا يعرفه أحد من الصحابة الجالسين، فلو كان من أهل المدينة لعرفوه، ولو لم يكن من المدينة، ولو كان مسافراً قادماً من بعيد، لكان أشعث أغبر، فكيف جمع بين أناقة ونظافة مظهره وبين عدم معرفتهم به؟

بعد ذلك تصرف الرجل الغريب المثير تصرفاً أكثر إثارة، زاد في انفعال وتفاعل الصحابة الجالسين، فقد اخترق الرجل الصحابة الجالسين، وأقبل على رسول الله ﷺ، ثم جلس إليه، ثم اقترب منه كثيراً، بأن أسند ركبتيه إلى ركبتي رسول الله ﷺ، ثم وضع كفيه على فخذي نفسه، وجلس أمام الرسول ﷺ جلسة المتأدب المتعلم.

وصار الرجل الغريب المثير يسأل، والرسول ﷺ يجيبه، ويعقب على ذلك بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة المستغربون يسمعون السؤال والجواب.

سأل الرجل رسول ﷺ خمسة أسئلة:

سأله عن الإسلام. فأجابه الرسول ﷺ عن أركان الإسلام الخمسة: الشهادتين، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج.

وعقب الرجل على جواب الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: صدقت.

وزاد هذا في استغراب الصحابة، فكيف يسأل، ثم يعقب على الجواب الذي يتلقاه بالتصديق والموافقة؟ إن الأصل في السائل الباحث عن الجواب أن لا يعقب عليه بتصويب وتصديق جواب المسؤول، وتعقيب هذا الرجل على الجواب قد يدل على أنه لا يسأل سؤال بحث واستعلام!

ثم سأل الرسول عليه الصلاة والسلام عن أركان الإيمان، فأجابه عن أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

فعقب على ذلك بقوله له: صَدَقْت!

ثم سأله عن الإحسان، فأجابه عليه الصلاة والسلام بأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن الله وكأنه يراه، وذلك بأن يحسن الشعور واليقين بأن الله يراه ويراقبه، ويطلع على أعماله، فلا يغفل عن ذلك لحظة، فبما أن المؤمن لا يمكن أن يرى الله بعينيه في الدنيا، فإن الله يراه، لأن الله سميع بصير.

ثم سأل الرجل الرسول ﷺ عن وقت قيام الساعة. فأخبره الرسول ﷺ بأنه لا يعلم متى يأتي ذلك الوقت، وأنه في ذلك مثل السائل، ومثل باقي المخلوقين، فلا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله، حيث اختص وحده سبحانه بالعلم بها.

ثم سأله أخيراً عن أمارات الساعة وعلاماتها، والأحداث التي تكون ممهدةً لها،

وتقع قبل قيامها.

فأجابه الرسول عليه الصلاة والسلام عن اثنتين من تلك الأمارات:

**الأولى**: أن تكون المرأة أمةً رقيقةً عند سيدها الحر، فيتسرى بها ويعاشرها، فتنجب له بنتاً، وتكون هذه البنت سيدة لأمها، لأن أباها حر، بينما أمها جارية رقيقة.

**الثانية**: أن يتحول البدو الرحل رعاة الغنم إلى المدنية، حيث يتخلون عن حالتهم السابقة، التي كانوا فيها حفاةً عراةً فقراء رعاء غنم، وينتقلون إلى حالة جديدة، إلى العمران والبناء، فيتطاولون في البنيان ويتسابقون في ذلك، وكل منهم يريد أن يسبق الآخر في بناء قصر أو عمارة.

وسمع الصحابة الجالسون أسئلة الرجل الغريب الخمسة، وسمعوا إجاباتها من رسول الله ﷺ، وأخذوا منها علماً حول الإسلام والإيمان والإحسان والساعة و أماراتها.

وبعد ذلك قام الرجل الغريب المثير، وغادر المجلس، وسط استغراب الصحابة مما شاهدوا وسمعوا.

وكان من أشد الصحابة انفعالاً واستغراباً عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبقي فترة من الوقت مفكراً، من يكون هذا الرجل الغريب؟ ومن أين جاء؟

ولاحظ رسول الله ﷺ دهشة عمر واستغرابه، فزاد من استغرابه بسؤاله له: يا عمر: أتدري من السائل؟

وعمر لا يعرف من هو، فهذا الذي يشغل باله. فأجاب الرسول ﷺ بقوله: الله ورسوله أعلم.

عند ذلك كشف الرسول ﷺ لعمر ولباقي الصحابة المستغربين هوية هذا الرجل والهدف من حضوره.

قال لهم: إنه جبريل عليه الصلاة والسلام، أذن الله له أن يتحول عن صورته الملائكية إلى صورته البشرية المثيرة التي شاهدوه بها.

والهدف من حضوره هو تعليم الصحابة حقائق دينهم، عن طريق توجيهه الأسئلة للرسول ﷺ، واستقباله إجاباته عليها، فيتعلم الصحابة بتلك الأسئلة والأجوبة.

**فقه تأويل الحديث:**

من أجل تسهيل حُسن النظر في الحديث وفقه تأويله، فيمكن تقسيمه ثلاثة أقسام:

**الأول**: رواية يحيى بن يعمر لقصة سماعه الحديث من عبدالله بن عمر، وملابسات ذلك.

**الثاني**: رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكيفية قدوم جبريل بصورة رجل غريب، وتفاصيل ذلك.

**الثالث**: نص الحوار بين جبريل عليه السلام وبين رسول الله ﷺ.

وسوف ننظر في كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة إن شاء الله.

**أولاً: من رواية يحيى بن يعمر لقصة سماعه الحديث:**

١- يخبر يحيى بن يعمر أن معبد الجهني هو أول من نفى قدر الله، وعلمه المسبق بالأشياء، وأن هذا كان في البصرة.

٢- وهذا يدل على أن هذه البدعة الضالة نشأت في وقت مبكر من حياة المسلمين، وقد أدركها بعض الصحابة كعبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

٣- كان العلماء يفزعون إلى من هم أعلم منهم، ليعرضوا عليهم المشكلات، طالبين حلها، كما حصل من ابن يعمر والحميري، عندما بحثاً عن أحد الصحابة.

٤- خروج ابن يعمر والحميري للقاء الصحابة من باب ارتحالهما في طلب العلم، وحرصهما عليه.

٥- إهتم ابن يعمر والحميري بمحاربة ضلالة معبد الجهني في القدر، وفعلهما هذا دليل على حرص السابقين على محاربة البدع والضلالات والانحرافات بين المسلمين، والرد على أصحابها، وتحذير المسلمين منهم.

٦- كان السابقون حريصين دقيقين في كلامهم، ينتقون كلامهم انتقاءً، ويحرصون على عدم الوقوع في مخالفة شرعية أو عقيدية، وقد ظهر هذا في كلام ابن يعمر عند لقائهما ابن عمر رضي الله عنهما، فقد قال: فوفق لنا عبدالله بن عمر. أي أن الله هو الذي قدر لهما اللقاء به، والله هو الذي وفقهما للذهاب إلى المسجد في نفس وقت ذهاب ابن عمر، ليتقابلوا معاً.

ولم يقل: قابلنا ابن عمر صدفة؛ لأنه لا صدفة في أفعال الله، ولم يكن السابقون يستخدمون كلمة صدفة[1]!

٧- كانت المساجد أماكن العلم عند السابقين، تحقق وظيفتها، وتؤدي رسالتها العلمية، فابن يعمر التقى مع ابن عمر في المسجد، وأخذ عنه الحديث فيه.

٨- كان العلماء السابقون حريصين على ارتياد المساجد، ليس لمجرد أداء الصلاة، فهذا مفروغ منه، لكن من أجل الإلتقاء بالمسلمين، وحل مشكلاتهم، وإجابة أسئلتهم وتعليمهم، ولذلك رأى ابن يعمر ابن عمر داخلاً المسجد.

---

(١) استخدم رسول الله ﷺ مراراً

٩- لما قابل ابن يعمر والحميري ابن عمر إقتربا منه، واكتنفاه، ووقف أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله. وهذا يدل على إقتراب طالب العلم من العالم، ووقوفه بجانبه، وذلك ليسمعه ما يقول. ويسمع منه الجواب.

كما يشير هذا إلى أدب سير الجماعة مع العالم، حيث يحفون به ويحيطون به من جانبيه.

١٠- يحيى بن يعمر هو الذي بدأ الكلام مع ابن عمر، لأنه ألسن وأفصح من صاحبه الحميري. وهذا يدل على أن الأفصح والأعلم هو الذي يتولى الكلام وعرض المسالة، ليفهمها العالم منه، ثم يجيبه عليها...

١١- وقع أن ابن يعمر هو الذي تكفّل بالكلام، فقد برر ذلك في شبه اعتذار، فقال: ظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ.

وهذا يدل على الأدب الإسلامي الأخوي، الذي كان يسود بين السابقين، حيث كان كل منهم يحرص على مشاعر أخيه، وإذا تصرف تصرفاً خاصاً فإنه يوضحه، ويبين عدم تعارضه مع الأخوة والمحبة لأخيه.

١٢- لم يتكلم ابن يعمر والحميري معاً عند ابن عمر، وإنما عرض ابن يعمر المسألة، وسكت الحميري، لأن المقصود قد تحقق، وابن يعمر كفى الحميري الكلام، فلماذا يتكلم الحميري بعد ذلك؟

وهذا إشارة إلى الأدب في مخاطبة العالم، فإذا وقف مع العالم اثنان أو أكثر، فالأدب أن يتولى الكلام أفصحهم وأبلغهم، والآخرون يستمعون، أما إذا قام كل منهم بالكلام، وتداخلت أصواتهم، وكل منهم يخاطب العالم في نفس الوقت، فإن هذا سيؤذي العالم ويزعجه ويربكه، وهو يتعارض مع الأدب الإسلامي الرفيع.

١٣- لما كلم ابن يعمر ابن عمر قال له: يا أبا عبد الرحمن. فكنّاه بكنيته، ولم

يناده باسمه، فلم يقل له: يا ابن عمر. وهذا أدبٌ آخر، يتأدب به طالب العلم أمام العالم، يخاطبه بأرق خطاب، وأحسن كلام.

كما أن في قوله: يا أبا عبد الرحمن، إشارةً إلى الاقتصاد في الكلام، وترك الإطراء والمدح، وإن كان حقاً.

لقد كان ابن عمر رضي الله عنهما من أعلم المسلمين وأفضلهم، ومع ذلك لم يمدحه ابن يعمر، ولو فعل لكان محقاً.

١٤- أخبر ابن يعمر ابن عمر عن البدعة التي ظهرت في البصرة بقوله: إنه ظهر قبلنا أُناس. لقد أطلعه على ما يجري عندهم، بهدف معرفة الحكم فيه. وهذا يدل على أن طلبة العلم يتصلون بالعلماء، ويعرضون عليهم المشكلات التي يعيشها المسلمون في مناطقهم، ويضعونهم في صورة ما يجري عندهم.

١٥- كان ابن يعمر موضوعياً في حديثه عن المبتدعين، الذين نفوا القدر فعرض إيجابياتهم، ثم عرض بدعتهم وباطلهم بعد ذلك.

تحدث ابن يعمر عن تدينهم وعبادتهم، وعن قراءتهم القرآن، وعن حرصهم على طلب العلم، والبحث عن دقائقه وخفاياه.

وهذه شهادة من ابن يعمر لهم. وتدلنا على وجوب اتصافنا بالموضوعية، عند كلامنا عن مخالفينا، فخلافنا معهم في بعض آرائهم لا يمنعنا من ذكر حسناتهم وإيجابياتهم.

١٦- إن المبالغة في الخوض في الغيبيات، تؤدي إلى الوقوع في الخطأ، والقول الباطل.

فمعبد الجهني وأتباعه كانوا يتقفرون العلم، ويخرجون غوامضه، ويبحثون عن أسراره، ودفعهم هذا إلى الخوض في الغيبيات، وإقحام عقولهم عالم الغيب، وهي لم

تهيأ أساساً للخوض فيه.

صار معبد الجهني وأتباعه يتحدثون عن صفات الله بدون ضابطٍ سليم، وبدون التزامٍ بالكتاب والسنّة، وحاولوا بعقولهم غير المنضبطة تكييف صفات الله، فضلوا.

وقادهم هذا التقفُّر في العلم إلى نفي قدر الله وعلمه المسبق، ولو لم يخوضوا في عالم الغيب، ولو التزموا بالكتاب والسنّة لما وقعوا في الضلالة.

١٧- معبد الجهني وأتباعه ينفون القدر، ويزعمون أن الأمر أُنف، أي أن علم الله بالأشياء والأحداث ليس سابقاً عليها، فالله لم يعلم بها قبل وقوعها، وإنما علمها بعدما وقعت!

وماذا في هذا من ثناء على الله؟ فالمخلوق يعلم الأشياء بعد وقوعها، والعلم عند هذا المخلوق مستأنف.

فإذا كان علم الله بالأشياء هكذا، فبماذا يتميز فعل الخالق عن فعل المخلوق؟ وما الذي يميز علم الرب عن علم العبد؟

وهذا يقودنا إلى حقيقة قاطعة: إن الذي لا يلتزم بمنهج القرآن والسنّة في التعريف بأسماء الله وصفاته وأفعاله، سوف يقيس الخالق بالمخلوق، ويتحدث عن الخالق كما يتحدث عن المخلوق، ويصف الخالق بما يصف به المخلوق، وهذا سر ضلال هؤلاء!!

١٨- لما سمع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من ابن يعمر ما سمع، فزع من كلام المبتدعين الضالين، وأغلظ لهم القول، وكلف ابن يعمر أن يبلغهم براءته منهم.

وهذا دليل على غضب العالم لله، ومحاربته للبدع والضلالات، وشدته في الإنكار

على أصحابها، وغلظته عليهم، وصراحته في رفض باطلهم، وذلك ليكون المسلمون على بينة.

١٩- تصريح ابن عمر رضي الله عنهما ببراءته من القوم المبتدعين، دليل على وجوب الحب في الله والبغض في الله، وعلى أن يكون ولاء المسلم وبراءته لله، فيوالي من كان صالحاً مع الله، ويتبرأ مَن كل خالف الحق، ويفاصل من خرج على منهاج الله، ويحدد صلته بالآخرين على هذا الأساس. والعلماء هم قدوةٌ في هذا الأمر.

٢٠- طلب عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من يحيى بن يعمر أن يبلغ الجهني وأتباعه المبتدعين براءته منهم، وكلفه بذلك. وهذا يدل على جواز التوكيل في تبليغ العلم، وعلى وجوب التزام الوكيل أداء ما التزم به، كما يدل على وجوب نشر العلم، وإقامة الحجة على الآخرين.

٢١- أقسم ابن عمر على كلامه في الرد على المبتدعين، وكان قسمه غير صريح، وهذا دليل على جواز قيام العالم بالقَسَم على ما سيقدمه من حقائق، أو ما سينقضي به الباطل، طالما أنه متأكد من صحة وصواب كلامه، وقسمه من باب الاهتمام والانتباه، وزيادة قناعة السامع بما سيقول.

٢٢- أخبر ابن عمر أن الله لا يقبل أي عمل يعمله الإنسان إذا نفى القدر، حتى لو كان هذا العمل نفقةً كبيرةً في سبيل الله، وكانت ذهباً مثل جبل أحد.

وعدم قبول عمله لأن عقيدته غير صحيحة، ولأن نظرته إلى صفات الله وأفعاله خاطئة، إنه صاحب بدعة، وأعمال أصحاب البدع غير مقبولة.

٢٣- استخدم ابن عمر عبارة دالةً على المبالغة في الانفاق، فقال: لو أن لأحدهم مثل أُحُد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه...

وهذه العبارة مبالغة في الانفاق، سيقت لتقريب المسألة إلى ذهن السامع، ومعلومٌ أنه لا يملك أحدٌ ذهباً بمقدار جبل أحد، مهما بلغ من الغنى.

وهذا دليل على جواز المبالغة في الأمثال المضروبة، لتقريب المسألة للسامع.

٢٤- كلام ابن عمر في عدم قبول أعمال المبتدعين حتى يتخلوا عن بدعتهم، دليل على أن صحة العقيدة شرط لقبول العمل، وأن الإيمان أساسٌ للعمل، وإذا فقد الشرط بطل المشروط، وإذا زال الأساس سقط البناء.

وهذا هو سبب رد وإبطال أعمال الكافرين والمبتدعين.

٢٥- كلام ابن عمر واضح في تكفير نفاة القدر، الذين ينفون قدر الله وعلمه المسبق بالأشياء، ويزعمون أن علم الله بها حادث مستأنف.

لقد كان معبد الجهني وأتباعه ينكرون كون الله عالماً بأعمال العباد قبل وقوعها، وقالوا إنه لا يعلمها إلا بعد ما تقع.

و لا شك أن هذا كفر، وأن من قال بهذا القول كافر، لأنه ينكر القدر وهو ركن من أركان الإيمان، وينكر علم الله، وهو صفة من صفات الله.

٢٦-يدل كلام ابن عمر لابن يعمر على أن الإيمان بالقدر واجب، لأنه اشترطه لقبول أعمال المسلم، ومعلوم أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان.

وخلاصة الإيمان بالقدر: أن نؤمن أن الله قدَّر الأشياء أي: أنه علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها، قبل إيجاده لها. ثم أوجد الله الأشياء التي سبق في علمه أنه سيوجدُها، وكان إيجاده لها على ماسبق في علمه عنها، فلا يحدث شيء في السموات والأرض إلاّ وهو صادرٌ عن قدرته وإرادته وعلمه سبحانه وتعالى.

هذا هو مذهب أهل السنّة والجماعة، الذي أخذوه من نصوص الكتاب والسنّة.

٢٧- لما روى عبدالله بن عمر الحديث لابن يعمر والحميري قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب.

فهذا الحديث من رواية صحابي عن صحابي، كما أنه من رواية الأبناء عن الآباء.

لقد كان الصحابة يعلمون أبناءهم، كما كان أبناء الصحابة حريصين على أخذ العلم عن آبائهم..

## ثانياً: من رواية عمر لحادثة جبريل:

روى عمر بن الخطاب لابنه عبدالله رضي الله عنهما ملابسات قدوم جبريل عليه السلام عليهم، وكيفية جلوسه بين يدي رسول الله ﷺ، وعندما تمعن النظر في رواية عمر، فسوف نخرج منها بالإشارات والإيماءات والدلالات التالية:

١- كان الصحابة يكثرون من الجلوس مع رسول الله ﷺ، ليتعلموا منه، ويتربوا على يديه، وكان رسول الله ﷺ متواضعاً معهم، يجالسهم ويحادثهم.

ولهذا روى عمر رضي الله عنه أنهم كانوا جالسين عند رسول الله ﷺ

٢- كان مجتمع المدينة صغيراً محدوداً محصوراً، وكان الصحابة يعرف بعضهم بعضاً، وكانوا يميزون أي غريبٍ ويعرفونه.

ولهذا علق عمر على قدوم ذلك الرجل بأنه لا يعرفه منهم أحد، ولو كان من أهل المدينة لعرفوه.

٣- اختار جبريل عليه السلام أن يأتيهم على تلك الصورة المثيرة الجميلة، فثيابه بيضاء شديدة البياض، وشعره أسود شديد السواد.

وبذلك جمع بين أمرين متناقضين، مبالغة في الإثارة:

إنه لا يُرى عليه أثر السفر، وكأنه قادم من أحد بيوت المدينة، ولو كان قادماً من المدينة لعرفه الصحابة، وأن عدم معرفتهم به دليل على أنه مسافر غريب. وأنه لا

يرى عليه أثر السفر، ولو كان مسافراً لظهرت عليه آثار السفر، ولقد اختار جبريل هذه الصورة المثيرة الجميلة، ليثير انتباه الصحابة لينشطوا ويتفاعلوا معه.

٤- واختيار جبريل لهذه الصورة الجميلة فيه دليل على استحباب تحسين الثياب والهيئة، والاهتمام بالنظافة والأناقة، عند الدخول على العلماء والفضلاء والزعماء. وعند القيام بزيارات، أو حضور اجتماعاتٍ ولقاءات.

٥- قدم جبريل عليه السلام على هذه الصورة، واستمر يمشي، واخترق حلقة الصحابة الجالسين، وجلس إلى النبي ﷺ.

وهذا يشير إلى حق الضيف القادم في الاقتراب من المَزُور، والجلوس أمامه، ولو أدى ذلك إلى تجاوز الآخرين.

٦- جلس جبريل أمام الرسول عليه الصلاة والسلام جلسة المتأدب، واقترب منه كثيراً. بحيث أسند ركبتيه إلى ركبتي رسول ﷺ

وهذا يشير إلى أهمية اقتراب طالب العلم من المعلم، بحيث يكاد أن يتلاصقا، وذلك ليحسن إسماع كلامه وسؤاله للعالم، ويحسن سماع جواب العالم. ولو ابتعد عنه لما تحقق ذلك.

٧- جلس جبريل عليه السلام أمام النبي ﷺ كما يجلس أحدنا جلسة التشهد في الصلاة، وهي أكثر الجلسات تواضعاً، وأحسنها أدباً. ووضع كفيه على فخذيه، كما يفعل أحدنا وهو يقرأ التشهد في الصلاة. مبالغةً في التواضع والتأدب أمام رسول الله ﷺ

وعلى طالب العلم أن يراعي هذه الآداب أمام شيخه، فإذا ما أسقطها من حسابه، فإنه قد يحرم من بركة طلب العلم.

إن العلم أدبٌ وخلقٌ وسلوك، قبل أن يكون معرفة وثقافة ودراسة!

٨- كان الصحابة الجالسون متابعين للمشهد، منذ دخول جبريل حتى جلوسه أمام رسول الله ﷺ على تلك الهيئة.

وهذا من حرصهم على طلب العلم، وتحصيل الاستفادة من كل ما يشاهدون ويسمعون.

ويشير هذا إلى أهمية استمرار الحضور الذهني للمسلم، بحيث يحسن فهم كل ما يجري حوله، ويحسن استيعابه وإدراكه.

٩- بعدما انتهى جبريل عليه السلام من طرح أسئلته، وأَخْذِ الجواب عليها، خرج من بين الصحابة وغادر المجلس، وانطلق من حيث جاء.

وكان الصحابة متأثرين منفعلين مندهشين، وأكثرهم دهشةً وتفكيراً هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومعلوم أن الإنسان يُصاب بالدهشة والمفاجأة عندما يرى مناظر مثيرة أو تحدث أمامه حوادث عجيبة.

١٠- رغم دهشة واستغراب الصحابة مما شاهدوه وسمعوه، فإنهم لم يسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، احتراماً وتوقيراً له، وهذا يدل على أدب آخر من آدابهم معه.

وعلى طلبة العلم أن يتأدبوا مع العالم، وأن لا يكثروا من طرح الأسئلة عليه، ولا يلحوا عليه لتفسير وتعليل ما يرونه، وأن يتركوه حتى يحدثهم ويفسر لهم ذلك.

١١- رأى رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مفكراً بما جرى، فقطع عليه تفكيره بأن طرح عليه سؤالاً مثيراً، زاد من تأثره: (يا عمر: أتدري من السائل؟).

طرح عليه السؤال وهو يعلم أنه لا يدري من السائل. ولكنه أراد أن يزيد من إثارته، ويوقظ ذهنه، ليتلقى الجواب وهو في قمة التفاعل والحيوية.

وقد يطرح العالم على طالب العلم سؤالاً، وهو يعلم أنه لا يعرف الجواب، وهو لايريد منه الجواب، وإنما يريد إثارته وتهيئته لتلقي الجواب.

١٢- كان عمر رضي الله عنه متأدباً في جوابه على سؤال رسول الله ﷺ، حيث أجاب بقوله: الله ورسوله أعلم.

تأدب عمر مع رسول الله ﷺ أولاً، عندما أجاب بهذا اللطف، وتأدب معه ثانياً عندما أحال على علم الله ورسوله، بقوله: الله ورسوله أعلم.

إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمنا الأدب في كيفية رد طالب العلم على أسئلة العالم، والأدب في خطابه للعالم، وعدم إيذاء العالم بكلمة لا تليق. وإذا لم يعرف طالب العلم الجواب فليقل: الله ورسوله أعلم.

١٣- كشف الرسول ﷺ لعمر وللصحابة رضي الله عنهم عن هوية هذا الرجل الغريب: إنه جبريل عليه السلام.

وهذا يدل على أن العالم لا يبقى طلبته أسرى الحيرة والدهشة والاستغراب، فبعد أن يحقق هدفه من لفت أنظارهم وشد انتباههم. عليه أن يزيل دهشتهم بكشف حقيقة ماجرى أمامهم.

١٤- مجيء جبريل عليه السلام على هذه الصورة، وتحوله إلى صورة رجل، دليل على أن الله تعالى قد مكن الملائكة من أن يتمثلوا فيما شاؤوا من صور بني آدم.

إن الملائكة قد يتمثلون في صورة بشر، ويشاهدهم الناس كما يشاهدون البشر، ويسمعون كلامهم كما يسمعون كلام البشر.

وقد كان جبريل عليه السلام يظهر أحياناً في صورة رجل غريب، كما في هذا

الحديث. وكان أحياناً يتمثل في صورة الصحابي الجليل «دِحْيَةَ بن خليفة الكَلْبيّ» رضي الله عنه. وكان من أجمل الصحابة وأكثرهم أناقة وحسن مظهر.

١٥- تحول جبريل عليه السلام إلى صورة رجل، ولم يتحول إلى صورة امرأة! وكل النصوص التي تحدثت عن تحول الملائكة إلى صور بشرية آدمية، أخبرت أنهم تحولوا إلى صورة رجال، وليس إلى صورة نساء!!

ولعل الحكمة من ذلك هي التأكيد على رد مزاعم الكفار من أن الملائكة بنات، وتكذيبهم في ذلك!

علماً أن الملائكة في حقيقتهم الملائكية، لا يوصفون بذكورة ولا بأُنوثة، وأنهم لا يتناكحون ولا يتناسلون.

١٦- أخبر رسول الله ﷺ الصحابة عن سبب قدوم جبريل، بأنه جاء ليعلمهم دينهم.

إن مجيء جبريل عليه السلام على هذا الصورة الجميلة المثيرة، ليعلم الصحابة قواعد أحكام دينهم، دليلٌ على أهمية اختيار الأسلوب الأنفع، والأصلح والأنسب في العملية التعليمية. وعلى حرص المعلم على استخدام أحسن وسائل الايضاح لتوصيل المعلومات للمتعلمين، وترسيخها في عقولهم.

## ثالثاً: من الحوار بين الرسول وبين جبريل:

جرى حوار بين رسول الله ﷺ وبين جبريل على مسمع من الصحابة الجالسين، بهدف تعليمهم أحكام دينهم، حيث سأل جبريل الرسول ﷺ خمسة أسئلة، وتلقى الإجابات عليها.

وعندما نتدبر ذلك الحوار، ونحاول فقه تأويله، فسوف نخرج بالإشارات والإيماءات واللطائف التالية:

١- اختيار طريقة الحوار بين الرسول ﷺ وبين جبريل عن طريق السؤال والجواب لتعليم الصحابة، دليل على أهمية هذه الطريقة في التعليم.

وعلى العلماء والمعلمين أن يسلكوا هذه الطريقة في تعليم طلبتهم. ومن الممكن أن يلتقي عالمان، وأن يتحاورا ويتحدثا فيما بينهما، على مسمع من الجالسين ليعلماهم.

٢- كان جبريل عليه السلام يطرح الأسئلة على رسول الله ﷺ، وهو يعْلم جوابها. فلم يكن طرحُها من باب بحث جبريل عن جوابها، ولكنها كانت من باب تعليم الصحابة.

وإذا حضر عالم مجلس عالمٍ آخر، وعلم أن الجالسين بحاجة إلى أن يعلموا مسألة علمية، ولم يسألوا شيخهم عنها، فمن الممكن لهذا العالم أن يسأل شيخهم، ليسمع الجواب الجميع، ويتعلموا العلم.

٣- سأل جبريل النبي ﷺ خمسة أسئلة: عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة وعلاماتها. وسماها الرسول ﷺ ديناً، فقال: (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم).

وهذا دليل على أن الإسلام والإيمان والإحسان يسمى ديناً. كما أنه دليل على شمول الإسلام لكافة مجالات العلم، ومرافق الحياة.

٤- إن الله هو الذي أرسل جبريل عليه السلام للرسول ﷺ على هذه الصورة، وأمره أن يطرح عليه تلك الأسئلة، ليسمع الصحابة الجواب عليها.

وهذا مظهر من مظاهر رحمة الله بالمسلمين، وتكرمه بتعليمهم مبادئ دينهم بهذه الطريقة.

٥- كانت أسئلة جبريل للرسول ﷺ مرحلية متدرجة، كل سؤال يقود لما بعده، نظراً لتسلسل وتتابع الموضوعات التي تم السؤال عنها، كانت الأسئلة عن الإسلام

ثم عن الإيمان، ثم عن الساعة، ثم عن علاماتها.

فالإسلام هو باب دخول الإنسان في هذا الدين، وهو أول مقام يتحقق به، وهذا الباب يقود إلى الإيمان، وهو المقام الثاني، والإيمان يقود إلى المقام الثالث وهو الإحسان، وهو المقام الذي لا يدركه إلا صالحو المسلمين المؤمنين المحسنين.

٦- سؤال جبريل للرسول ﷺ عن الإسلام، ثم عن الإيمان، دليل على تفريقه بين الإسلام والإيمان. وقد جاء جواب الرسول ﷺ مؤكداً للتفريق بينهما.

ونصوص القرآن والسنّة واضحة وصريحة في التفريق بينهما، وهذا يدل على أن الإسلام والإيمان ليسا مصطلحين مترادفين؛ لأنه لا ترادف في كلمات القرآن ومصطلحاته.

وعلينا أن نلتزم بما توحي به النصوص القرآنية والحديثية، وأن نقول بالتفريق بين الإسلام والإيمان، وأن لا ندعي شيء واحد.

٧- سئل رسول الله ﷺ عن الإسلام: والإسلام هو الاستسلام والانقياد والخضوع، وهو الالتزام التام بأحكام الشرع.

ولذلك أجاب ﷺ بتقرير أركان الإسلام الخمسة: الشهادتان، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج.

وهذا دليل على وجوب الإقرار بهذه الأركان الخمسة، فمن أنكر واحداً منها أو أسقطه، زال عنه الإسلام. لأن هذه الأركان الخمسة لا تقبل التنازل عن واحدٍ منها.

٨- ولما سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان، أجاب بذكر أركان الإيمان الستة.

والإيمان هو التصديق، والاعتقاد بهذه الأركان الستة: الإيمان با لله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

ولا يجوز إنكار ركن من هذه الأركان الستة، فمن أنكر ركناً منها فقد كفر، وزال عنه اسم الإيمان..

٩- عندما ذكر رسول الله ﷺ أركان الإيمان، نص على الإيمان بالقدر، والاعتقاد بأن القدر كله من الله، خيره وشره.

وهذه هي مناسبة الحديث للباب، وللقصة التي ذكرها يحيى بن يعمر، عن الجهني وأتباعه، الذين نفوا القدر.

والهدف من إيراد ابن عمر رضي الله عنهما لهذا الحديث هو إثبات القدر، وبيان وجوب الإيمان به، والرد على من نفاه.

١٠- لقد اختار عبدالله بن عمر رضي الله عنهما إيراد الرواية المطولة، لإثبات الإيمان بالقدر، رغم أن عنده أحاديث مختصرة، تدل على نفس الموضوع.

إن اختيار ابن عمر لهذه الرواية لابن يعمر وصاحبه والمسلمين، لما فيها من دلالات ومعلومات عن موضوعات علمية أخرى.

وهذا يدل على توسع العالم في الجواب على الأسئلة المقدمة له، وحرصه على تقديم أكبر مقدار من المعلومات والفوائد الأخرى.

١١- لما أجاب رسول الله ﷺ عن الإيمان قال: (أن تؤمن با لله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره..).

لقد عطف رسول الله ﷺ أركان الإيمان الأربعة على الإيمان با لله، وهي الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر.

وعندما جاء للإيمان بالقدر، لم يعطفه على ما قبله، فلم يقل: تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر. وإنما أعاد فيه الفعل المضارع، فقال: (وتؤمن بالقدر خيره وشره).

وإدخال الفعل المضارع على الإيمان بالقدر مقصود، وذلك لتأكيد الإيمان بالقدر، وبيان أهميته، فكأنه يحتاج إلى إيمان خاص.

وذلك لخفاء القدر، وكثرة ما قد يثار حوله من شبهات وإشكالات وكثرة من يزيغون عندما يخوضون فيه، بعيدين عن منهج الكتاب والسنّة.

١٢- يؤمن أهل السنّة والجماعة بالقدر كله، خيره وشره، ويفهمونه في غاية الوضوح واليسر، وهم في سلامةٍ من الشبهات والإشكالات التي وقع فيها أصحاب الفرق.

وسبب ذلك أن أهل السنّة فهموا موضوع القدر، من خلال نصوص الكتاب والسنّة، فأيقنوا أن كل ما يحدث في الكون والحياة فهو بعلم الله المسبق، وهو بتقدير الله له.

إن الله يعلم الأشياء والأحداث قبل وقوعها. وإن الله يقدرها قبل وقوعها، وهي لا تقع بعد ذلك إلا وفق ما علم الله منها وما قدره لها.

وهذا المعنى صريح في قول الله: ﴿إنا كلَّ شيء خلقناهُ بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمحٍ بالبصر﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

١٣- سأل جبريل الرسول ﷺ عن الإحسان في العبادة، وهذا التفات إلى أهمية التزكية القلبية والسمو الأخلاقي. فعلى العابدين أن يكونوا محسنين في عبادتهم وفي حياتهم، وأن يكونوا مخلصين في سرائرهم ونياتهم.

إن الإحسان هو روح العبادة، فما معنى الصلاة بدون إحسان؟ وما معنى العبادة بدون تزكية وإخلاص؟ الإحسان مقام عظيم يصله العابدون المحسنون، يتذوقون فيه لذة الاتصال بالله وعبادته ومناجاته.

١٤- يُفهم من كلام الرسول ﷺ عن الإحسان أن الله لا يُرى في الدنيا: (أن

تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

المسلم لا يرى الله بعينيه في الدنيا، وإنما يرى المؤمنون ربهم في الجنة يوم القيامة.

وإذا كان المؤمن لا يرى الله بعيني رأسه في الدنيا، فعليه أن يراه بقلبه، رؤيةً إيمانيةً معنوية، وليست رؤيةً ماديةً محسوسة. وذلك بأن يستحضر دائماً رقابة الله وحضوره، وعظمته وجلاله، ويأنس بذكره، ويسعد بمناجاته، وبهذا تزكو نفسه، ويحيا قلبه، ويسعد في حياته، وهكذا يكون محسناً في عبادته.

١٥- عندما سئل رسول الله ﷺ عن الساعة قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل).

وكان السؤال عن تحديد الساعة، وبيان وقت قيامها.

وأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام جبريل بأنه لا يعرف ذلك، وأنه مثله في عدم العلم بها.

وإذا كان الرسول ﷺ لا يعلم متى الساعة، وإذا كان جبريل عليه السلام المقرب عند الله لا يعلم ذلك، فمن هو الذي يعلم ذلك من المخلوقين؟ ومن هو الذي يجرؤ على تحديد وقت قيام الساعة؟

جواب الرسول ﷺ دليل على أن علم الساعة خاص بالله، لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه، حتى ولو كان ملَكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً.

قال تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها، قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها، قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الأعراف:١٨٧].

١٦- سأل جبريل الرسول ﷺ عن أمارات وعلامات الساعة، فذكر له اثنتين منها.

وهذا يدل على أن الله جعل للساعة علاماتٍ وأمارات، تمهيداً لقيام الساعة، وهذا ما أشار له قوله تعالى: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ [محمد:١٨].

وللساعة أماراتٌ وعلاماتٌ مضت وانقضت، ولها علاماتٌ وسطى يعيشها المسلمون في هذا الزمان، وسيعيشونها في المستقبل، ولها علامات كبرى تكون قبيل قيام الساعة مباشرة كظهور المسيح الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها.

وقد ذكر الرسول ﷺ كثيراً من أشراط الساعة الوسطى والكبرى، أوردتها كتب الحديث.

١٧- العلامتان اللتان ذكرهما الرسول ﷺ للساعة هما: (أن تلد الأمة ربتها، وأن يتطاول الرعاة في البنيان).

وهاتان العلامتان من أمارات الساعة الوسطى، وقعتا في حياة المسلمين السابقين بعد الفتوحات الإسلامية، وما زال المسلمون يعيشونهما في هذا الزمان، وسيعيشونهما المسلمون القادمون في المستقبل. لأن أشراط الساعة الوسطى تستمر فترة زمنية طويلة.

١٨- أخبر رسول الله ﷺ أن من أمارات الساعة: أن تلد الأمة ربتها.

ومعناها أن تكون المرأة أمة جارية عند رجل، فيعاشرها، فتلد له بنتاً، وتكون ابنتها حرة، لأن أباها حر، بينما أمها أَمَة، وبهذا تكون الأم أمة جارية، وتكون ابنتها ربّةً وسيدةً لها!

وهذه إشارة إلى كثرة الجواري والإماء بين المسلمين، وهذا لا يكون إلا بعد الجهاد والفتوحات، حيث ينتصر المسلمون على الكفار، ويأخذون المحاربات الكافرات جواري رقيقات.

وهذه بشرى بانتصار الإسلام وانتشاره في البلدان، وقوة المسلمين، وتغلبهم على أعدائهم.

وقد تحقق هذا فيما بعد في حياة المسلمين، حيث دخلت البلدان في آسيا وأفريقيا تحت حكم المسلمين، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

وإن تحقق هذه العلامة من علامات الساعة، كما أخبر عنها رسول الله ﷺ، يعتبر معجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام، ودليلاً على أنه رسول من عند الله. فلو لم يكن رسولاً من عند الله فمن أدراه أن هذا سيكون في حياة المسلمين في المستقبل؟!

١٩- ولادة الأمة لربتها، أي ولادة الجارية بنتاً حرة من سيدها الحر، ليس حراماً، لأن التسري بالجواري الرقيقات، اللواتي يأخذهن المسلمون عن طريق الحرب مباح شرعاً، فالمحاربة الكافرة عندما تُسترق تكون ملكاً لسيدها المسلم، وله أن يعاشرها، وإذا حملت منه فإن أولادها يكونون أحراراً تبعاً لأبيهم. فهذا الأمر ليس حراماً شرعاً.

وليس كل ما أخبر عنه الرسول ﷺ من علامات الساعة يكون حراماً شرعاً، فمن أشراط الساعة ما هو حرام، ومنها ما هو مباح، وحدوثه دليل على تغير أحوال الناس وأحوال المسلمين بخاصة.

ومن علامات الساعة ما هو خير، ومنها ما هو شر، ومنها ما هو ضار، ومنها ما هو نافع.

٢١- وهناك معنى آخر لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

«أن تلد الأمة ربتها» وهو الإشارة إلى عقوق الأبناء لآبائهم وأمهاتهم، فالأصل في البنت أن تكون بارة بأمها وأبيها -وأن يكون الولد كذلك- ولكنها قبل قيام

الساعة تكون عاقة لأمها، فتكون آمرة عليها، تطلب من أمها أن تفعل ما تريد، وتأمرها بتنفيذ ما تريد، وما على الأم المسكينة إلا السمع والطاعة، وكأنها تقول لابنتها: الأمر أمرك يا سيدتي.

وكأن الأم أمة جارية خادمة عند ابنتها، وكأن البنت سيدة وربة لأمها، وهكذا الابن العاق المتكبر مع والديه المسكينين!!

وقد فشا وانتشر عقوق الأبناء والبنات لآبائهم وأمهاتهم في هذا الزمان، الذي يمكن أن نسميه «زمن العقوق».

٢١- والعلامة الثانية التي ذكرها رسول الله ﷺ للساعة هي: (أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان).

ذكر رسول الله ﷺ صفات أهل البادية قبل أن يصبحوا أغنياء، فهم حفاة إلا من قليل من الأحذية، عراة إلا من قليل من اللباس، عالة فقراء لا يجدون إلا القليل من الطعام، وهم أعراب أصحاب أغنام وأنعام، يعيشون في البادية، يرعون فيها الإبل والغنم.

ولما يتبدل بهم الحال يزول عنهم فقرهم، ويتخلون عن بداوتهم، فيلبسون أفخر اللباس، وينتعلون أجود الأحذية، ويتركون رعي الشاء والأنعام، وينتقلون إلى المدينة والعمران والبنيان.

وقد تحققت هذه العلامة أيضاً، كما أخبر عنها ﷺ، تحققت للمسلمين فيما مضى، وتحققت للمسلمين بصورة أوضح في هذا الزمان.

٢٢- هدف الرسول ﷺ من ذكر هذه العلامة للساعة الإخبار عن تبدل الحال وتغيره، وانتقال أهل البداوة إلى المدنية والعمران.

فعندما فتح المسلمون البلدان، ودخلت شعوبها في الإسلام، انتقل أهل البادية من

القبائل العربية، وسكنوا البلاد المفتوحة، في بلاد الشام والعراق، ومصر وخراسان، وصاروا أهل بناء وعمران، وصاروا سادةً وزعماء وأمراء.

واجتماع العلامتين من علامات الساعة: كثرة الجواري بحيث تلد المرأة سيدتها، وتحول الرعاة من البادية إلى البنيان، يشير إلى الغنى والترف الذي أصاب المسلمين في عهد الأمويين ثم العباسيين.

٢٣- ونأخذ من قوله ﷺ: (يتطاولون في البنيان) إشارة أخرى.

إن الألف في فعل «يتطاولون» هي ألف المفاعلة. وتدل على معنى المباهاة والمنافسة، والتنافس في بناء القصور والعمارات، ورصد الأموال الكثيرة لهذا التسابق المحموم، إنهم لا يبنون عماراتهم لحاجة، وإنما يبنونها للفخر والمباهاة.

إن الرسول ﷺ لم يقل: يبنون البنيان، ولم يقل: يطيلون البنيان. وإنما قال: يتطاولون في البنيان.

إذا بنى أحدهم عمارة من خمسة عشر طابقاً، نافسه آخر ببناء عمارة من عشرين طابقاً، وأتى ثالثٌ فجعل عمارته خمسة وعشرين طابقاً، وزاد رابع عمارته عن ثلاثين طابقاً، وهكذا..

وقل مثل هذا عن التنافس والتسابق في زخرفة وزركشة وتزيين القصر أو الفيلا من الداخل!!

وإن هذا التطاول والتفاخر في البنيان لا يجوز، لأنه من التبذير والإسراف الذي نهانا الله عنه.

وهذا التطاول في البنيان، والبذخ والإسراف في الإنفاق عليه، هو السمة الغالبة لما يفعله العرب الأغنياء في هذا الزمان -إلا من رحم الله منهم- فقد انتقلوا نقلة مفاجئة من حالة الفقر والحاجة، إلى حياة العمران والبناء، ولذلك تطاولوا في البنيان بترف وبذخ وإسراف!!.

## غزارة معاني ودلالات هذا الحديث:

وهكذا ننتهي من تسجيل ما وفقنا الله إليه من دلالات وإشارات هذا الحديث الجامع، سواء كانت هذه الدلالات مما أخذناه عن غيرنا من العلماء، وبالذات شارحي الحديث الإمام أبي العباس القرطبي والإمام محي الدين النووي[1]، أو كان مما هدانا الله إليه عن نظرنا في سياق عبارات ومعاني الحديث.

سجلنا سبعاً وعشرين دلالة من رواية يحيى بن يعمر لقصة الحديث وسجلنا ست عشرة دلالة من رواية عمر رضي الله عنه لقدوم جبريل وسجلنا ثلاثاً وعشرين دلالة من الحوار بين الرسول ﷺ وبين جبريل وهذه الدلالات التي قمنا فيها بفقه تأويل هذا الحديث تدل على غزارة معاني ودلالات هذا الحديث العجيب، الذي هو أصل من أصول الإسلام.

وكم كان الإمام أبو العباس القرطبي موفقا عندما اعتبر هذا الحديث «أم السنّة» كما أن الفاتحة هي «أم القرآن».

قال القرطبي في «المفهم» عن الحديث: «يصلح هذا الحديث أن يقال فيه إنه «أم السنّة»، لما تضمنه من جمل علم السنّة، كما سميت الفاتحة «أم الكتاب»، لما تضمنته من جمل معاني القرآن»[2].

ونقل الإمام النووي قول القاضي عياض عن الحديث: «هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبارات الظاهرة والباطنة: من عقود الإيمان، وأعمال

---

(١) انظر شرح القرطبي للحديث في المفهم: (١/١٣١-١٥٢). وشرح النووي للحديث في شرح مسلم: (١/١٤٤-١٦٠).

(٢) «المفهم» للقرطبي: (١/١٥٢).

الجوارح، وإصلاح السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال. حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه.

وقال القاضي عياض: وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ألفنا كتابنا، الذي سميناه: ((المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان))، إذ لا يشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة..))[1].

والحمد لله رب العالمين.

**الحديث الثاني**: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس، فأتاه رجل، فقال: يا رسول الله: ما الإيمان؟

قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخِرِ).

قال: يارسول الله: ما الإسلام؟

قال: (الإسلام أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان).

قال: يا رسول الله: ما الإحسان؟

قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إن لا تراه فإنه يراك).

قال: يا رسول الله: متى الساعة؟

قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من ا لسائل. ولكن سأُحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها فذاك من أشراطها، وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لا

---

(١) شرح النووي على مسلم: (١/١٥٨).

يعلمهن إلا الله. ثم تلا ﷺ قوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [لقمان: ٣٤]. ثم أدبر الرجل.

فقال رسول الله ﷺ: (ردوا علي الرجل!).

فأخذوا ليردّوه، فلم يَروا شيئاً.

فقال رسول الله ﷺ: (هذا جبريل. جاء ليعلم الناس دينهم..) رواه البخاري: (٣٧).

## تحليل الحديث:

### أولاً: معاني الكلمات:

١- كان الرسول يوماً بارزاً للناس: كان واقفاً أمامهم، ظاهراً لهم، يشاهدونه بسهولة.

٢- تؤمن بلقاء الله: تؤمن بالبعث بعد الموت، الذي ينتج عنه لقاء الله، والوقوف بين يديه للحساب.

٣- تؤمن بالبعث الآخر: تؤمن بيوم القيامة، الذي يبعث فيه الناس من قبورهم. أي: تؤمن بالبعث واليوم الآخر.

٤- الصلاة المكتوبة: الصلاة الواجبة علينا، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة.

٥- الزكاة المفروضة: الزكاة الواجبة علينا، المحددة بمقاديرها وأنصبتها، التي لا يجوز إنقاص شئ منها.

٦- إنك إن لا تراه: إنك إن لم تكن ترى الله بعينيك في الدنيا.

٧- أشراط الساعة: علامات الساعة ومقدماتها وأماراتها. والأشراط جمع شرط، وهو العلامة.

٨- ولدت الأمة ربها: ولدت الجارية الرقيقة سيدها، لأنه ابنها من سيدها الحر، فيكون الابن سيداً حراً كأبيه.

٩- رؤوس الناس: زعماء الناس وأمراؤهم وأشرافهم وقادتهم.

١٠- رعاء البهم: البهْم، جمع بهمة، والبهم هي أولاد الغنم الصغيرة، سواء كانت من الضأن أو المعز.

ورعاء البهم: الذين يرعون الغنم.

١١- ردوا علي الرجل: أعيدوا الرجل الذي خرج.

**ثانياً: معنى الحديث:**

هذه رواية أخرى لحادثة قدوم جبريل عند رسول الله ﷺ، وسؤاله له عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وعلاماتها.

وكان الحديث السابق من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أما هذا الحديث فإنه من رواية أبي هريرة، رضي الله عنه.

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس، ظاهراً أمامهم، يشاهدونه ويسمعون كلامه.

فأتاه رجلٌ من بعيد، والناس ينظرون إليه، وهو الذي أخبر عنه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في الحديث السابق، بأنه كان شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يعرفه أحد من الجالسين، ودخل حتى جلس أمام النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذي نفسه، من باب التأدب.

وأبو هريرة لم يذكر هذه التفاصيل لقدوم جبريل.

ذكر أبو هريرة رضي الله عنه في هذه الرواية أن الرجل الغريب سأل الرسول ﷺ عن الإيمان، فذكر له الرسول ﷺ خمسة من أركان الإيمان: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

ثم سأل الرجل عن الإسلام، فأجابه الرسول ﷺ بذكر ثلاثة من أركان الإسلام: الصلاة، والزكاة، والصوم.

ولما سأل عن وقت قيام الساعة، أخبره الرسول ﷺ بأن المسؤول عنها ليس بأعلم من السائل.

وأخبره عليه الصلاة والسلام عن اثنتين من علامات الساعة، وهما المذكورتان في حديث عمر السابق، مع تفاوتٍ في بعض الألفاظ.

وأضاف أبو هريرة في روايته لهذا الحديث إضافةً نافعة، وهي أن الرسول ﷺ علل عدم علمه بوقت قيام الساعة، بأن تلا عليه آيةً من كتاب الله، تنص على أمورٍ خمسة، اختص الله بعلمهن، وهي الآية الأخيرة من سورة لقمان.

اختص الله بعلم الساعة، وتنزيل الغيث، وعلم ما في الأرحام، والعلم بما سيحصل لكل نفس، والعلم بزمان ومكان وكيفية موت كل نفس.

وبعدما طرح الرجل الغريب أسئلته الخمسة، وسمع جواب الرسول ﷺ عليها، على مسمعٍ من الصحابة، قام وغادر المجلس.

وأراد رسول الله ﷺ أن يلفت أنظار الصحابة الجالسين. وأن يثير اهتمامهم، فطلب منهم أن يخرجوا، وأن يبحثوا عن الرجل السائل، وأن يردوه ويعيدوه إليه.... مع أنه يعلم أنهم لن يجدوه.

فخرجوا، وبحثوا عنه، فلم يجدوه. فعادوا وأخبروا الرسول ﷺ بذلك.

عند ذلك كشف لهم الرسول ﷺ عن هوية ذلك الرجل.. إنه ليس رجلاً بشراً، ولكنه جبريل عليه السلام، بعثه الله على هذه الصورة البشرية، وكلفه بطرح هذه الأسئلة، ليسمعها الصحابة، ويسمعوا الإجابات عليها، وبذلك يتعلمون دينهم...

**فقه تأويل الحديث:**

هذه روايةٌ ثانيةٌ لنفس الحادثة، حادثة قدوم جبريل عند رسول الله ﷺ، وهذه الرواية للحادثة يرويها أبو هريرة رضي الله عنه، وقد سجلنا ما وفق الله إليه من دلالات وإشارات عند فقه تأويل رواية عمر رضي الله عنه، وسنقف هنا عند رواية أبي هريرة، ونستخرج ما يفتح الله به من دلالات، إضافةً للدلالات التي أوردناها فيما مضى.

١- نرى تفاوتاً في الألفاظ والكلمات بين الروايتين لنفس الحادثة، رواية عمر التي رواها عنه ابنه عبدالله، ورواية أبي هريرة رضي الله عنهم.

وقد اختصر أبو هريرة رضي الله عنه في بعض التفاصيل، التي اهتم عمر بذكرها، وبالذات تفصيل كيفية قدوم جبريل عليه السلام.

وهذا يدل على أن الصحابة كانوا يتفاوتون في الإخبار عن ما حصل أمامهم من الحوادث، كما كانوا يتفاوتون في رواية ما سمعوه من رسول الله ﷺ، فمنهم من كان يورد ذلك كاملاً، ومنهم من كان يورد موطن الاستشهاد، ومنهم من كان يعتني بذكر التفاصيل، رضوان الله عليهم جميعاً.

٢- وهذا التفاوت في الروايتين يدل على جواز رواية الحديث عن رسول الله ﷺ بالمعنى.

وقد كان الصحابة يروون الحديث بالمعنى، بمعنى أنهم ما كانوا يوردون نفس الألفاظ التي نطق بها رسول الله ﷺ، وإنما كانوا أحياناً يعبّرون بألفاظٍ من عندهم، ينقلون بها المعاني التي أخذوها عن رسول الله ﷺ.

أما المعاني فقد كانوا يوردونها، ولا يتصرفون فيها، كانوا يفقهون الحادثة التي وقعت، ويستوعبون دلالاتها، ويُدركون معاني كلام رسول الله ﷺ. وهذا هو المطلوب. ولا يضير بعد ذلك أن يعبروا عن ما فهموه وفقهوه واستوعبوه بألفاظٍ من عندهم!

وكان بعض الصحابة حريصين على إيراد نفس الألفاظ التي سمعوها من رسول الله ﷺ، ويبذلون في ذلك غاية جهدهم، وكان في مقدمة هؤلاء عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مما يجعل للأحاديث التي يرويها دلالةً خاصة لبذله أقصى جهده في إيراد نفس ألفاظ الرسول ﷺ.

وهذا هو تعليل ما نرى من التفاوت والاختلاف في عدة رواياتٍ صحيحةٍ للحادثة الواحدة، أو الحديث الواحد عن ر سول الله ﷺ.

٣- كان أبو هريرة رضي الله عنه حاضراً الحادثة، مشاهداً لما جرى بين رسول الله ﷺ وبين جبريل عليه السلام.

ومن المعلوم أن إسلام أبي هريرة رضي الله عنه كان متأخراً، حيث كان إسلامه بعد صلح الحديبية، أي بعد العام السابع للهجرة.

وهذا يدل على أن حادثة قدوم جبريل عليه السلام كانت متأخرة، بعد العام السابع.

٤- قول أبي هريرة رضي الله عنه: ((كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس))، يدل على تواضع الرسول ﷺ، وحلمه وسعة صدره، وحُسن تعامله مع الصحابة،

حيث كان يكثر من الجلوس معهم ومعايشتهم، وذلك ليقوم بتربيتهم وتوجيههم وتعليمهم.

فعلى العلماء والمربين أن يكثروا من الجلوس مع التلاميذ وطلاب العلم والأتباع، وأن يتواضعوا لهم، وأن لا يتكبروا عليهم.

٥- كان بروز رسول الله ﷺ للناس، من أجل أن يشاهدوه ويسمعوا كلامه، ويشاهدهم هو ويسمع أسئلتهم، ويلاحظ مدى تأثرهم وتفاعلهم.

ويشير هذا بأنه لا مانع لأن يهيأ للعالم والمربي مكانٌ بارز ومجلس ظاهر أمام الاتباع، كأن يكون مقعداً أو كرسياً، ليراهم ويسمعهم ويراقبهم، وهذا لا يتعارض مع تواضعه بينهم، ولين جانبه لهم.

٦- عندما روى أبو هريرة رضي الله عنه جواب الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام عن الإيمان، كرر الإيمان باليوم الآخر، ولم يذكر بالقدر: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر)، وعبر عن الإيمان باليوم الآخر بعبارة: (البعث الآخر).

وهذا يدل على ما قلناه من تفاوت الصحابة فيما يروونه، حيث يروي كل صحابي جزءاً من الحادثة، أو طرفاً من الحديث.

وعلى من يريد أن يعرف خلاصة الحديث، أن يجمع كل رواياته وطرقه الصحيحة، ويطّلع على ألفاظ كل رواية، ثم يجمع بينها، ويسقط المكرر، ويزيل الاختلاف، ويقدم خلاصة ذلك.

٧- وعندما روى أبو هريرة رضي الله عنه جواب الرسول ﷺ عن الإسلام، عبر عن الركن الأول الشهادتين بقوله: (الإسلام أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً). بينما كانت رواية عمر رضي الله عنه: (الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن

محمداً رسول الله).

ويمكن الجمع بين الروايتين بأن نعتبر أن الشهادتين هما الأصل، كما في رواية عمر رضي الله عنه، وأن العبادة الخالصة لله هي الثمرة الطيبة للشهادتين، كما في رواية أبي هريرة، رضي الله عنه؛ لأن من أهم معاني «لا إله إلا الله» أن لا تكون العبادة إلا لله.

كما أننا نرى أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه لم يذكر الحج في روايته، مع أنه الركن الخامس من أركان الإسلام، بينما أورده عمر رضي الله عنه في روايته.

وهذا يؤكد ما قلناه من التفاوت في المقدار الذي يرويه كل صحابي للحادثة الواحدة، فأبوهريرة رضي الله عنه لم يقصد أن يتقصى الخبر كله.

٨- رواية عمر السابقة عن الإسلام، ذكرت الصلاة والزكاة مطلقتين: (وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة).

بينما الصلاة والزكاة مقيدتان في رواية أبي هريرة: (وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة).

كلام رسول الله ﷺ عن أركان الإسلام، أفي أنه يتكلم عن الواجب في الصلاة والزكاة، وليس عن السنّة أو المندوب أو النافلة فيهما.

ولهذا وصف الصلاة بأنها: «مكتوبة»: أي الصلاة الواجبة، التي كتبها وأوجبها الله على المسلمين، وهذا ينطبق على الصلوات الخمس، ولا ينطبق على السنن والنوافل.

ووصف الزكاة بأنها «مفروضة» أي: الزكاة الواجبة التي أوجبها وفرضها الله على المسلمين بأنصبتها ومقاديرها، ولا ينطبق هذا على الصدقة المطلقة المستحبة.

ويجب حمل النص المطلق في رواية عمر: (تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة) على النص

المقيد في رواية أبي هريرة: (وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة).

وهذا فائدة الجمع بين الروايات المختلفة للحديث الواحد، واستخراج الدلالات من تلك الروايات مجتمعة.

٩- تقييد الرسول ﷺ للصلاة بالمكتوبة، وللزكاة بالمفروضة، دليلٌ على أن هذه هي الواجبات، وأنَّ المندوبَ المسنون من الصلاة والزكاة ليس واجباً، وأن من تركه لا يأثم، لكنه ينقص أجره وثوابه.

ونرى في هذا التقييد لطيفةً بلاغيةً نبوية، فوصف ﷺ الصلاة بأنها مكتوبة، ووصف الزكاة بأنها مفروضة.

وهذا من رسول الله ﷺ «تنوع» في التعبير، والتنوع في التعبير أسلوب بلاغي رفيع، يحرص عليه الفصيح البليغ، ويستعمله في كلامه ومعلوم أنَّ رسول الله ﷺ كان أفصح العرب.

١٠- يروي أبو هريرة رضي الله عنه أربعة أسئلةٍ من جبريل للنبي ﷺ، بينما يروي عمر رضي الله عنه خمسة أسئلة.

السؤال الخامس في رواية عمر السابقة: (فأخبرني عن أمارتها) هو تابع للسؤال الرابع الأخير في رواية أبي هريرة، وهو استمرار في كلام الرسول ﷺ عن الساعة.

فالحوار حول السؤال الرابع في رواية أبي هريرة رضي الله عنه هكذا: قال: يارسول الله: متى الساعة؟

قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. ولكن سأحدثك عن أشراطها..).

وهذا يؤكد ما قلناه من قبل من التفاوت بين روايات الصحابة للحادثة الواحدة، ومن رواية الصحابة للحادثة أو الحديث بالمعنى. والمعتمدة هي رواية عمر رضي الله

عنه، التي تخصص سؤالاً خاصاً خامساً عن أمارات الساعة.

١١- أورد عمر العلامة الأولى للساعة بصيغة المؤنث: (أن تلد الأمة ربتها).

بينما أورد أبو هريرة هذه العلامة بصيغة المذكر: (إذا ولدت الأمة ربها فذاك من أشراطها).

والصواب هو الجمع بين الروايتين، فمن علامات الساعة أن تلد الأمة ربها وربتها، لأن الجارية قد تلد بنتاً، فتكون هذه البنت ربة وسيدةً لها، وقد تلد ولداً، فيكون هذا الولد رباً وسيداً لها.

١٢- علامة الساعة الثانية في رواية أبي هريرة هكذا: (وإذا كانت الحفاة العراة رؤوس الناس، فذاك من أشراطها...) لقد اعتبر الرسول ﷺ ترؤُّس الحفاة العراة على الناس علامةً مستقلةً من علامات الساعة.

إنهم حفاة عراة، أي: متخلفون بدائيون، فكيف يكونون مع ذلك رؤوس الناس؟ وكيف يصيرون وجوههم ومسؤوليهم؟

إنهم لا يملكون شيئاً من شروط ومقومات المسؤولية، فلاهم متعلمون ولا متفقهون ولا دارسون، فماذا سيفعلون عندما سيصيرون رؤوساً ومسؤولين وهم بدون تلك المؤهلات والمقومات؟

ولقد تحققت هذه العلامة في تاريخ المسلمين، كما أخبر عنها رسول الله ﷺ، ومرت على المسلمين في بعض الأماكن وبعض الفترات الزمنية، عهود وأوقات، هلك فيها رؤوسهم المؤهلون، فترأس عليهم الحفاة العراة، وأوقعوا بهم الكثير من المصائب والبلايا والمشكلات، وقادوهم إلى الدمار والانهيار والخراب، وماذا يمكن أن يقدم هؤلاء الرؤوس الجاهلون غير هذا؟؟

١٣- في رواية أبي هريرة رضي الله عنه علامةٌ ثالثةٌ من علامات الساعة: (وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها).

والعلامتان في رواية عمر رضي الله عنه علامة واحدة: (وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان).

أما هنا في رواية أبي هريرة فقد فصلهما إلى علامتين:

الأولى: تحول الحفاة العراة ليكونوا رؤوساً ومسئوولين.

الثانية: تحول الرعاة رعاء البهم من رعاية الغنم إلى المدنية والعمران، وتنافسهم في البنيان.

إن رعاة البهم يتخلون عن رعايتها، وينتقلون إلى المباهاة والمفاخرة والتطاول في بناء العمارات والقصور.

وهذا دليل على التغيير السلبي الذي سيحل بالناس، حيث سيتركون الحياة العملية الايجابية الفاعلة، القائمة على الرعي والزراعة، ويتوجهون إلى الحياة الاستهلاكية المترفة المفرطة في الكماليات.

إن وضع الأموال في الثروة الزراعية والحيوانية تنمية لموارد ا لأمة، ونفع لها، وتقوية لاقتصادها، وتقديم الخير لها، وهو المتمثل في اللحوم والأصواف والألبان والأجبان.

أما وضع الأموال في التنافس والمباهاة في بناء القصور والعمارات، فإنه تبذير لدخل الأمة، وتبديد لمواردها!!

ماذا تستفيد الأمة من تنافس وتباهي وتطاول أغنيائها في البنيان؟

وانفاقهم الآلاف والملايين من النقود في هذه المظاهر الاستهلاكية الكمالية

المترفة؟ وكان بإمكانهم توظيف هذه الآلاف والملايين في خدمة الأمة، وتنمية مواردها، لو أنهم كانوا راشدين!!

١٤- في قول رسول الله ﷺ: (في خمس لا يعلمهن إلا الله) تعليل لعدم علمه بموعد قيام الساعة.

حيث بين أن العلم بوقت قيامها خاص بالله، لم يطلع عليه أحداً من خلقه، حتى ولو كان أقرب وأفضل الخلق عنده، وهو محمد ﷺ.

إن الله قد اختص بعلم الساعة، كما اختص بالعلم بأمور أربعة أخرى، وهي: تنزيل الغيث، والعلم بما في الأرحام، والعلم بما تكسبه كل نفسٍ في المستقبل، والعلم بالمكان الذي تموت فيه كل نفس.

ويدلنا هذا التعليل من رسول الله ﷺ علماً أن على العالم إذا لم يعرف جواب سؤالٍ وجه إليه، أن يعلل للسائل عدم علمه بذلك، ليضعه في الصورة، ويبين له الأمر.

١٥- لما أراد رسول الله ﷺ بيان الأمور الخمسة التي لا يعلمها إلا الله، تلا الآية الأخيرة من سورة لقمان، وهي التي ذكرت تلك الأمور الخمسة. قال تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت..﴾ [لقمان: ٣٤].

وهذا تعليم منه عليه الصلاة والسلام لأهل العلم، كي يحرصوا على إيراد الأدلة على آرائهم وأقوالهم، ويستشهدوا بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة.

فعندما يقدم العالم رأياً، ثم يتبعه بذكر دليله على ذلك، آيةٍ أو حديثٍ صحيح، فإن هذا يكون أدعى لقبول رأيه عند الآخرين، والثقة به.

١٦- بعدما أنهى جبريل عليه السلام -المتمثل في صورة رجل- مقابلته مع الرسول ﷺ غادر المجلس.

وأراد رسول الله ﷺ أن يبالغ في إثارة الصحابة، وإيقاظ نفوسهم، وزيادة تفاعلهم وتشويقهم. فقال لهم: ردوا عليّ هذا الرجل.

أي: اذهبوا، وابحثوا عن الرجل، وأعيدوه إلي.

وخرجوا ليردوه فلم يروه، وبحثوا عنه فلم يجدوه، ولم يعثروا له على أثر، لقد صعد إلى السماء مباشرة، فأين يجدونه!

وكان رسول الله ﷺ يعلم أنهم لن يجدوه، لأنه ليس رجلاً بشراً حقيقة، وإنما هو جبريل عليه السلام.

ويدل هذا على أنَّ على العالم المربي أن يحرص على تشويق وإثارة طلابه، وإبقاء تفاعلهم معه مستمراً، وحضورهم الذهني عالياً، وأن يسلك مختلف الوسائل والأساليب التي تحقق ذلك.

١٧- وسط دهشة واستغراب الصحابة من هذا الرجل الغريب، الذي جاءهم فجأة، وغادرهم واختفى فجأة، كشف لهم الرسول ﷺ عن هويته: إنه جبريل عليه السلام.

وقد جاءهم بهذه الصورة العجيبة، والطريقة المثيرة، ليعلّمهم أمور دينهم، وقواعد إسلامهم، وحقائق عقيدتهم وإيمانهم!

فهل سينسى الصحابة هذا الحوار الحي بين جبريل وبين رسول الله ﷺ؟ وهل سينسون الحقائق والقواعد والمبادئ التي أخذوها واستفادوها من ذلك الحوار؟ وبتلك الطريقة التعليمية العجيبة المثيرة المدهشة؟

**الحديث الثالث**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (سلوني..)

فهابوه أن يسألوه.

فجاء رجل فجلس عند ركبتيه.

فقال: يا رسول الله: ما الإسلام؟

قال: (لا تشرك بالله شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان).

قال: صدقت.

قال: يا رسول الله: ما الإيمان؟

قال: (أن تؤمن بالله، وملائكتهِ، وكتابهِ، ولقائهِ، ورسلهِ، وتؤمن بالبعثِ، وتؤمن بالقدر كله).

قال: صدقت.

قال: يا رسول الله: ما الإحسان؟

قال: (أن تخشى الله كأنك تراه، فإنك إنْ لا تكن تراه فإنه يراك).

قال: صدقت.

قال: يا رسول الله: متى تقوم الساعة؟

قال: ما المسئوول عنها بأعلم من السائل. وسأحدثك عن أشراطها:

إذا رأيت المرأة تلد ربها، فذاك من أشراطها. وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها. وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان، فذاك من أشراطها.. في خمس من الغيب، لا يعلمهن إلا الله). ثم قرأ: ﴿إن الله

عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [لقمان: ٣٤].

ثم قام الرجل.

فقال رسول الله ﷺ: (ردوه عليّ).

فالتُمِس، فلم يجدوه.

فقال رسول الله ﷺ: (هذا جبريل، أراد أن تعلَّموا. إذْ لم تسألوا...).

رواه البخاري: (٥٠)، وأبو داوود: (٤٦٩٨)، والنسائي: (٤٩٩١).

**تحليل الحديث:**

هذه رواية أخرى لأبي هريرة، رضي الله عنه، يروي فيها قصة قدوم جبريل على رسول الله ﷺ، وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأشراطها.

وهذه الرواية جاءت من طريقٍ أُخرى، غير طريق الرواية السابقة.

والفروق بين الروايتين في متن الحديث قليلة، حيث تجتمعان في معظم الكلمات والعبارات والمعاني.

وبما أننا تكلمنا اثناء وقفتنا مع رواية أبي هريرة السابقة في الحديث السابق عن معاني كلماتها، وعن المعنى العام للحديث، وعن فقه تأويل الحديث، فلن نعيد الكلام على هذه الموضوعات هنا، منعاً للتكرار.

**مناسبة الحديث:**

لهذا الحديث مناسبة وضحتها أحاديث أُخر، فأبو هريرة رضي الله عنه يخبر هنا أن النبي ﷺ قال للصحابة: (سلوني)، فهاب الصحابة أن يسألوه.

لماذا قال لهم ﷺ: (سلوني؟).

ذكر السبب أنس بن مالك رضي الله عنه، حيث روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن الناس سألوا رسول الله ﷺ، حتى أحْفَوْه بالمسألة.

فخرج ذات يوم، فصعد المنبر، فقال: (سلوني، لا تسألوني عن شئ إلا بينته لكم)!

فلما سمع ذلك القوم، أرمُّوا ورهبوا أن يكون بين يدي أمر قد حضر.

قال أنس: فجعلت ألتفت يميناً وشمالاً، فإذا كلٍ رجل لافٌ رأسه في ثوبه يبكي.

ثم أنشأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، عائذاً بالله من سوء الفتن.

فقال رسول الله ﷺ: (لم أرَ كاليوم قط في الخير والشر، إني صُورت لي الجنة والنار، فرأيتهما دون هذا الحائط).

وأخرج مسلم رواية ثانية عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء. فخطب، فقال: (عرضت عليّ الجنة والنار، فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً).

فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه. غطوا رؤوسهم ولهم خنين.

فقام عمر، فقال: (رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً).

فقام رجل فقال: مَنْ أبي؟

فقال ﷺ: (أبوك فلان).

فأنزل الله قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم..﴾ [المائدة:١٠١]».

وفي روايةٍ ثالثةٍ عند مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس، فصلى لهم صلاة الظهر. فلما سلم، قام على المنبر. فذكر الساعة، وذكر أن قبلها أموراً عظاماً.

ثم قال: (من أحب أن يسألني عن شيء فليسألني عنه. فوالله لا تسألونني عن شيء إلا أخبرتكم به، ما دُمت في مقامي هذا).

قال أنس بن مالك: فأكثر الناس البكاء حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ، وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول: (سلوني).

فقام عبدالله بن حذافة فقال: من أبي يارسول الله؟

قال: (أبوك حذافة)!

فلما أكثر رسول الله ﷺ مِنْ أن يقول: (سلوني)، برك عمر فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً.

فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك...»[١].

مناسبة الحديث إذن أن الصحابة أكثروا من طرح الأسئلة على رسول الله ﷺ، وكان بعضهم يطرح أسئلة لا معنى لها. ولذلك غضب رسول الله ﷺ، وصار يقول: (سلوني، سلوني)، وهو مغضب.

وعرف الصحابة غضبه، فتأثروا وحزنوا وبكوا، وأدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطورة الموقف، وكأنه تحدث باسم الصحابة، وناب عنهم في الكلام، فأعلن رضاهم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً. وسكن غضب

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٣٥٩).

رسول الله ﷺ.

وأنزل الله آية تنهى المسلمين عن الأسئلة التي لا معنى ولا داعي لها، وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم..﴾ [المائدة:١٠١].

والتزم الصحابة بهذا النهي الصريح في الآية.

وأشار إلى ذلك أنس بن مالك رضي الله عنه، فقد روى عنه الإمام مسلم رحمه الله قوله: ((نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمع.. ))(١).

وبعدما توقف الصحابة عن طرح الأسئلة، التزاماً بهذا النهي وتوقيراً للنبي ﷺ أرسل الله جبريل؛ ليسأل الرسول ﷺ، ويتعلم الصحابة من خلال السؤال والجواب..

## فقه تأويل الحديث:

سوف نسجل المعاني والدلالات المستفادة من الحديث، مما لم نذكره من بيان فقه تأويل الرواية السابقة عن أبي هريرة رضي الله عنه حتى لا نكرر تلك المعاني والدلالات.

١ - عرفنا المناسبة التي طلب فيها الرسول ﷺ من الصحابة أن يسألوه، من خلال أحاديث أخرى صحيحة تبينها، وبهذا عرفنا السبب الذي دفعه إلى أن يطلب منهم أن يسألوه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٢).

ولو لم نعرف مناسبة الحديث لما عرفنا السبب لقوله: (سلوني)، وبهذا لا نحسن فقه تأويل الحديث.

وهذا يدلنا على أهمية الوقوف على أسباب ورود الأحاديث، وعلى جمع الأحاديث المتشابهة والمتقاربة، التي لها صلةٌ بالموضوع وتدبرها، واستخراج دلالاتها، وفقه تأويلها.

٢ – نهى الله الصحابة عن سؤال رسول الله ﷺ، بعدما أكثروا عليه الأسئلة التي لا فائدة منها، فالتزم الصحابة بالنهي، وامتثلوا لأمر الله، وتوقفوا عن الأسئلة.

وهذه فضيلة إيجابية لهم، تدل على التزامهم لأحكام الله، وامتثالهم لأوامره، وتفاعلهم الحي مع توجيهاته، وتلقيها للتنفيذ والتطبيق.

وكانوا يحبون أن يجيء الرجل الغريب، القادم من البادية، الذي لا يعرف النهي السابق، العاقل الذكي في أسئلته واهتماماته، فيطرح الأسئلة على رسول الله ﷺ ويسمع الصحابة الأسئلة والإجابات عليها.

٣ – لما توقف الصحابة عن طرح الأسئلة على رسول الله ﷺ فترة من الوقت، أراد الله أن يعلمهم، فأمر جبريل عليه السلام أن يتحول إلى صورة رجل، وأن يحاور رسول الله ﷺ، ليسمع الصحابة السؤال والجواب، ويتعلموا بذلك.

قال أبو العباس القرطبي: «فلما انكفوا عن ذلك امتثالاً لأمر الله، وتعظيماً لحرمة رسول الله ﷺ، علم الله ذلك منهم، فأرسل السائل البصير، فأجابه العالم الخبير، فجعل العلم للسامعين المتثلين من غير سؤال، كما قد كفى الله المؤمنين القتال»[1].

---

(١) «المفهم للقرطبي»: (١٥٣/١).

٤ – قال رسول الله ﷺ للصحابة: (سلوني)، وهكذا بعد توقفهم عن طرح الأسئلة.

لقد أراد الله أن يربي الصحابة، وأن يدلهم على توقير رسول الله ﷺ، وأن يعلمهم كيفية طرح الأسئلة عليه، ويعرفهم على طبيعة الأسئلة التي توجه له. ولذلك نهاهم عن سؤاله عليه الصلاة والسلام.

وفي فترة النهي استفاد الصحابة من الدرس، وتخلوا عن الأسئلة التي لا فائدة منها، ولا ثمرة لها، ولا داعي لطرحها، وبذلك حقق النهي أهدافه.

ولا بد أن يتوقف النهي، لأنه لا بد أن يسأل الصحابة رسول الله ﷺ، وأن يتعلموا منه العلم، ويعرفوا منه أحكام دينهم، وإذا ما استمر النهي فاتهم ذلك العلم.

ولذلك طلب الرسول ﷺ من الصحابة أن يسألوه، بعدما وَعوا الدرس، وحصَّلوا الفائدة، وكان هذا الطلب إيذاناً بإعادة طرح الأسئلة العلمية النافعة.

٥ – يشير قول الرسول ﷺ للصحابة: (سلوني)، إلى دلالة لطيفة، وهي أهمية التعليم عن طريق السؤال والجواب، وهي طريقة تعليمية حيوية مؤثرة نافعة.

كان رسول الله ﷺ يطلب من الصحابة أن يسألوه، وطلب ذلك منهم أكثر من مرة، وكان يتلقى أسئلتهم، ويقدم لهم الأجوبة عليها.

وعلى العلماء أن يسلكوا هذه الطريقة النبوية في التعليم، لأهميتها وعظم نفعها.

لا يكتفي العالم بتوجيه المسلمين السائلين الأسئلة له، بل يطلب هو ذلك منهم أحياناً، أو يحثهم عليه، ويقول لهم: سلوني، ويتلقى أسئلتهم بحلم وسعة صدر وتأن، ويجيبهم عليها بحكمة وموضوعية وتأنٍ.

٦ - رغم أن رسول الله ﷺ طلب من الصحابة أن يسألوه، إلا أنهم لم يسألوه في بداية الأمر، وعدم سؤالهم ليس عزوفاً عن السؤال، ولا رغبةً عنه، ولكن هيبةٌ وتعظيمٌ وتوقيرٌ لرسول الله ﷺ: «سلوني، فهابوه أن يسألوه..».

لقد كان نظرة الصحابة للرسول ﷺ تقوم على التقدير والتوقير والاحترام والمهابة والاجلال.

صحيحٌ أنهم كانوا دائماً معه، يجالسونه ويحادثونه، وأنه كان ﷺ متواضعاً لهم؛ لكن كان بينه وبينهم حدودٌ نفسيةٌ ايجابية بناءة.

لم يُسقط الصحابة تلك الحدود النفسية بينهم وبينه، ولم يزيلوا مهابته في نفوسهم، ولم يعاملوه باعتباره واحداً منهم، وكأنه زميلٌ لهم، يمازحونه ويلاعبونه، بدون «مسافةٍ» نفسيةٍ قائمةٍ على الاجلال والتوقير.

كان ﷺ في منزلةٍ عاليةٍ شريفةٍ سامية في نفوسهم، إنه رسول الله ﷺ، وهم أصحابه، وبين المنزلتين «بُعْد» نفسي ملحوظ، يقوم على المهابة والاجلال!

وهذا البعد النفسي الايجابي، المبني على الاحترام والمهابة يجب أن يبقى قائماً بين العالم وبين طلابه، ويجب أن يبقى الطلاب شاعرين بالفرق بينهم وبين شيخهم، فمهما تواضع العالم معهم وخالطهم -وهذا واجب عليه- فإنه لا يجوز لهم أن يسقطوا «الكُلفة» بينهم وبينه، ولا أن يزيلوا المسافة النفسية بينهم وبينه، ولا أن يزيلوا ما في نفوسهم من المهابة له.

إن هذا ضروري لحسن التعلم والتلقي عن العالم، فإذا اعتبر الطالب العالم شيخاً ومعلماً ومؤدباً ومربياً وموجهاً له، فإنه يأخذ كلامه بهذه النظرة، وإذا فقد العالم في نفس طالبه هذه المنزلة، فإن العملية التربوية التعليمية تفقد شرطها وأساسها.

بهذا نفسر هيبة الصحابة لرسول الله ﷺ، رغم محبتهم له، وحياتهم معه.

٧ – لما أجاب رسول الله ﷺ جبريل عن الإيمان قال: (أن تؤمن با لله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله..).

لقد ذكر سبعة أشياء، حيث كرر ركناً من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر، قال: (ولقائه.. وتؤمن بالبعث..)، والبعث يكون يوم القيامة، ولقاء الله يكون بعد البعث، ويكون في ساحة العرض وموقف الحساب.

فالإيمان بلقاء الله والإيمان بالبعث، هو الإيمان باليوم الآخر.

ولما ذكر الإيمان بالقدر–الركن السادس من أركان الإيمان– أكّد الإيمان بالقدر بقوله: (الإيمان بالقدر كله..) فكلمةُ ((كلّه)) توكيد لكلمة القدر.

وهذا يدل على أهمية القدر وخطورته وخفائه، ولذلك يحتاج إلى تأكيد عليه، وعلى وجوب الإيمان به كله، وعلى عدم تقسيمه إلى أقسام وأجزاء، يؤمن ببعضها، ولا يؤمن بالبعض الآخر.

يجب الإيمان بالقدر كله، بجميع أقسامه وأجزائه بخيره وشره، أنه من عند الله سبحانه، فهو الذي يعلم كل شيء، وهو الذي يقدر كل شيء، وهو الذي يشاء كل شيء، وهو الذي يقضي بكل شيء.

٨ – لما عَرّف رسول الله ﷺ الإحسان قال: (أن تخشى الله كأنك تراه)، فعرفه هنا بخشية الله، بينما عرفه في الروايتين السابقتين بالعبادة: (وأن تعبد الله كأنك تراه).

وهذا يدل على أن الصحابة كانوا يروون الحديث بالمعنى، وعلى التفاوت في رواياتهم للحادثة.

والإحسان: هو عبادة الله كما في الروايتين السابقتين، وهو أيضاً خشية الله،

كما في هذه الرواية. فلا تناقض بين الروايات، وإن عبادة الله لا تتحقق إلا بكمال خشيته سبحانه، لأن العبادة هي: ((كمال الخضوع لله، مع كمال خشية الله)).

وخشية الله بأن يخاف عذاب الله، ويستحي من التقصير في عبادته، ويديم مراقبته والخضوع له، فهي روح العبادة، لأنه لا عبادة إلا بالخشية، ولا يتحقق الإحسان إلا بالعبادة القائمة على الخشية.

٩ - لما أخبر رسول الله ﷺ عن علامة الساعة الأولى قال: (إذا رأيت المرأة تلد ربَّها فذاك من أشراطها).

بينما في رواية عمر رضي الله عنه، قال عن هذه العلاقة: (أن تلد الأمة ربتها)، وقال في رواية أبي هريرة السابقة: (أن تلد الأمة ربَّها).

فالجديد في هذه الرواية أنه عمم ولم يخصص، فقال: (أن تلد المرأة..) بينما كانت الولادة في الروايتين السابقتين مقيدة بالأمة الجارية.

فإذا حملنا هذه العلاقة في الروايتين السابقتين على انتشار الجواري، وكثرة التسري، بأن تلد الأمة الجارية ابناً أو بنتاً من سيدها الحر، فيكون ابنها سيداً ورباً لها، وتكون ابنتها ربةً وسيدةً لها؛ فإننا في هذه الرواية نعمم الولادة على النساء.

وهذا معناه كثرة العقوق، فمن علامات الساعة كثرة عقوق الأبناء والبنات لآبائهم وأمهاتهم فعندما تلد المرأة ابناً أو بنتاً. وعندما يكبر هذا الولد أو البنت، فإنه يعق أمه، ويتكبر عليها، ويؤذيها ويهينها، ويعتبر نفسه رباً وسيداً لها، ويعتبرها أدنى من الخادمة أو الجارية عنده.

١٠ - لما تكلم رسول الله ﷺ عن علامة الساعة الثانية قال: (وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها).

بينما كانت هذه العلامة في رواية أبي هريرة السابقة: (وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها).

فهنا أضاف لأولئك الصنف من الأجلاف صفتين، هما «الصم البكم».

وهناك أخبر أنهم سيكونون «رؤوس الناس»، وهنا حدد عهدهم الجديد أكثر «ملوك الأرض».

فالمراد برؤوس الناس أنهم ملوكهم، فليست رئاستهم رئاسةً معنوية، بمعنى الوجاهة والمكانة الاجتماعية العالية، ولكنها رئاسةٌ حقيقيةٌ مادية، فهم تحولوا من الحياة العادية القائمة على الرعي، إلى الحكم والزعامة والقيادة.

ولما وصفهم بأنهم «صم بكم» ما أراد الصَّمم المادي بمعنى عدم السماع، ولا البكم المادي بمعنى عدم الكلام، ولكنه أراد الصَّمم والبكم المعنويين، القائمين على عدم انتفاعهم بما يسمعون، فكأنهم لا يسمعون، وعدم نطقهم بالخير والنفع والصواب، فكأنهم بكم لا يتكلمون!

ووصفهم هنا بأنهم صم بكم، كوصف القرآن للمنافقين بأنهم صمٌ بكمٌ عميٌ، وذلك في قوله تعالى: ﴿صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون﴾ [البقرة:١٨].

إن تحكم الحفاة العراة الصم البكم في الناس، وتحول الجهلة السفلة الرعاع الغوغاء؛ ليكونوا رؤوساً وملوكاً وقادةً وزعماء للناس، هو قلب للأوضاع، ونشر للظلم والبغي والعدوان، وانتشار للفساد والخراب والدمار.

وتأمل النهاية السوداء المظلمة التي تنتهي لها الأمة عندما يحكمها حفاة عراة صم بكم، ولاحظ النتيجة المؤلمة والثمرة المرة؛ لتحكم السفلة الجهلة في الأشراف الصالحين!!

وأبرز ما نرى من انطباق هذه العلاقة على الواقع، هو ما نراه في هذا الزمان.

حيث عاش الناس تحكم الحفاة العراة الصم البكم فيهم، وحيث دفعوا ثمن قيادة الجهلة الرعاع لهم غالياً، وحيث تردت أوضاع الناس إلى الحضيض!

١١ - نلاحظ تناسباً وصلةً وارتباطاً بين علامات الساعة الثلاثة المذكورة في هذه الرواية:

**الأولى**: كثرة عقوق الأبناء لآبائهم: (إذا ولدت المرأة ربها).

**الثانية**: قيادة الجهلة الرعاع للأمة: (إذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض).

**الثالثة**: تحول رعاة الغنم إلى تشييد القصور والعمارات: (وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان).

والذي يجمع العلامات الثلاث هو الفساد الذي سيحل بالأمة والأوضاع السيئة التي ستنتهي إليها، فكثرة عقوق الأبناء لآبائهم تعني الفساد الأخلاقي والنفسي والأسري والاجتماعي، حيث تتفكك روابط الأسرة، وتحل العداوة والبغضاء بين الأجيال، وتتحطم نفسيات ومعنويات الآباء والأمهات، وينشأ الأبناء نشأة شاذة مشوهة، ويكون أفراد المجتمع إما كباراً محطمين بائسين، وإما شباباً عاقون مشوهون مغضوبٌ عليهم. فكيف يُبنى مجتمع بهذين الصنفين؟

وتحكم الجهلة الرعاع في الأمة، وتحولهم؛ ليكونا رؤوساً وزعماء معناه الفساد السياسي والإداري، حيث ستفسد أجهزة الحكم التي تقود الأمة وتحكمها وتوجهها، وماذا يملك الحفاة العراة الصم البكم من مؤهلات الحكم الناجح؟

وتحول رعاء الغنم إلى التطاول في البنيان معناه الفساد الاقتصادي والحضاري،

فبدل أن يستثمروا اقتصاد الأمة في مشروعاتٍ نافعةٍ زراعيةٍ أو صناعيةٍ أو تجاريةٍ، يبددون ذلك الاقتصاد في مظاهر كمالية استهلاكية فارغة، ويوظفون أموالهم في نشر الفساد الأخلاقي في قصورهم وعماراتهم، التي تطاولوا وتنافسوا في بنائها!!

فتحقق علامات الساعة الثلاث المذكورة هنا في حياة الأمة، معناها الفساد الأخلاقي والاجتماعي والسياسي والإداري والاقتصادي!!

وقد تحققت هذه العلامات الثلاثة في حياة الناس في هذا العصر العجيب، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

إن العالم كله في مختلف بلدانه وبقاعه يعيش مختلف مظاهر الفساد، الناتجة عن تحقق هذه العلامات فيه، ويدفع ثمن ذلك غالياً.

ولم يَنْجُ من ذلك إلا بعض الصالحين والصالحات من المسلمين والمسلمات، هنا أوهناك، وهي نماذج قليلة وسط تلك الكثرة الكاثرة!! والله المستعان وإليه المشتكى.